صرخات متمردة

إيمان فتيح

اسم الكتاب : صرخات متمردة
اسم الكاتب : إيمان فتيح
رقم الإيداع : 2017/20493
الترقيم الدولي : 9789778350081
الطبعة الأولى : 2017
إخراج واخلي : هيام فهيم
صادر عن : مؤسسة زحمة كُتّاب للثقافة والنشر
15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com
دار زحمة كتاب للنشر
za7ma-kotab@hotmail.com
01205100596

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زحمة كُتّاب للثقافة والنشر
المشهرة قانونا بسجل تجاري رقم /84486

شكر خاص

إلى من حرر عقلي، وكسر حاجز الظلام داخلي.

إلى من علمني كيف أكون سيدة قراري

إلى من علمني معنى الحياة دون خنوع وانكسار.

إلى من علمني كيف أقتل خوفي، وأمضي لطريق أحلامي.

أستاذي الجليل، شكرًا.

✍ **.. إيمان فتيح**

إلى أصدقاء دربي ورفاق طريقي، إلى معنى الوفاء والوعد الصادق، إلى من جعلني أهمس لنفسي قائلة: إن الدنيا لازالت بخير.

إلى أسرتي التي منحتني الحب، ومدت لي يد العون، ودعمتني لمواصلة رحلتي إلى الحياة بعيدًا عن دروب الظلم والظلام.

إلى من دخل بحياتي، ليظن بغبائه أنه سيهدمني.

شكرًا؛ لأنكم أخفيتم سذاجتي.

✍ **.. إيمان فتيح**

إهداء

إلى من أهداهم قلبي حبًا صادقًا نقيًا، فكسروه وحقَّروا من شأنه.

إلي من أمضيتُ العمر لهم بالوفاء، فصفعوني بالآلام.

إلى من منحتهم الثقة الصماء، فأوجعوني بجرح الخذلان.

✍ .. إيمان فتيح

كلمتي

علمت بأن طريق المعاناة والإصرار علي الوصول، هو الطريق الصحيح الذي يأخذنا إلى أحلامنا، ولكن هذا ليس كل شيء.

اختر المعاناة الهادفة التي تبعد عن الظلم، المليئة بحب الله، وامنح نفسك القوة من معاناتك، ولا تنتظر الرحمة إلا من الله، ولا تجعل للخوف مكان داخلك.

احسم أمورك، وتوكل على الله، واعلم أن الحب ليس للحبيب بقدر ما يكون لذاتك، ثم مَن حولك.

امنح السعادة لنفسك؛ ليصبح بإمكانك إهدائها للآخرين.

لكل فتاةٍ

إياكِ والهروب، وترك موقف دون وضع نهايات حاسمة له.

كل ما تعلمته من الحياة، أنه إذا امتكلنا قرارنا ألا شيء يُغني عن كوننا أثرياء بأنفسنا فالحياة حقًا تُعاقب من يجهل إنسانيته، سواء بقصد، أو دون قصد.

فالحرية يا سادة، هي حرية الروح قبل الجسد، فسواء حصلنا عليها أو لم نحصل عليها ... فإن الروح لا تعرف طريقًا للقيود، فتتحرر مهما احتبسنا خلف قضبان شائكة، تتحرر رغم منفى قد تُلقينا فيه الأيام، تتحرر مهما وقف أمامنا مئات السُجّان.

فقد تكون الظروف والتجارب المؤلمة، هي بداية النهاية لأعوام من الظلم والقهر، فتصبح كالنفخ في رماد يختبئ من تحته لهيب يبدأ بالاشتعال ويزيد من حريقه؛ ليعلن عن صرخة، أو يعلن عن تمرد لقلب هالك أتعبه ظلم البشر، كان مسالمًا ولكن قسوة البشر جعلت منه وحشًا تجرد من الحب ولكنه لازال يتمسك بإنسانيته.

تمرّدي ...

حواء

وتتوالي خيباتكِ يا حواء، فكل ما تشعرين به القهر، والظلم، وقسوة الأيام عليكِ، كل ما تريدينه صرخة عالية يسمعها أهل الأرض، وبكاء يطّلِعُ عليه رب السماء. دموعكِ لا تَهُم من تزرفيها لأجلهم، تمارسين حياتك بمجتمع عقيم مُعاق، كل ما ينظر إليه أخطاء المرأة، أما الرجل يخطئ كيفما شاء، لاحرج عليه، أما أنتِ أيتها الأنثى، فمارسي عملك، وواجبك المنزلي، ورعاية الأبناء، كوني سجينة صامتة، ليس من حقك الشكوى، أو النفور.

لا تملكين حق الاعتراض، وليس من حقك الاختيار.

هكذا يعاملك مجتمعك، كوني ضعيفة واحملي فوق طاقتك، وبالنهاية يُلقبكِ رجل شرقيّ أحمق بالعاهرة أو يعاملك كالجارية دون اكتراث لمشاعرك، اجعلي من كل طفل رجلًا ذا بأس شديد، وقامة وعضلات مفتولة؛ لينعتك بالخائنة، وقولهم: " من يأتمن امرأة على شيء؟". يلقبونك بنصف المجتمع ولولاكِ يا حواء، ما اكتمل ولا صلح مجتمعهم هذا، فهيهات لمن عذَّب وخان وهانت عليه دموع حواء، وإن هانت دموعك يا حواء، فلن تهون على الله، فلا أحد يشعر بالألم ووجع القلب الذي يعتريكِ.

والآن سأجعل الكلام التالي بصيغة الأنا، التي حيرت كل مار وعابر في الحياه، "حواء"، ولازال جميع الرجال لا تعرف الكثير عن مشاعرها التي اعتادت على الصمت والصمود.

سوف أسرد عليكم الكثير من المشاعر المتناقضة والأحاسيس، التي تختبئ خلف قضبان من حرير، تُعاني منها أغلب بنات حواء.

.

في البداية لا يهم كم أبلغ من العمر ولكني سأذكره بالتحديد، رغم أن الشكل الخارجي الذي يعرفه عني المجتمع لا يهم أيضًا، فهناك ما يكمُن بالداخل ما لا يعرفه أحد عن نفسي، أحيانًا أعجز عن فهمها، أرتبك ويعتريني صمت مقيت، وكل يوم يمر يمدُني بمزيد من التساؤلات التي قد يظن بعضهم أنها على درجة عالية من التفاهة، قوة حواء ذاتها تختبئ خلف أبسط الأشياء، لا أحد يدري كم نحن بسطاء أقل كلمة ترضينا، ولو أهدانا أحدهم وردة تصبح أغلى منحة وأعظمها، لا تُشغلنا المادة كما يظن بعضهم، فقد أصبحنا في مجتمع فقير لكل شيء، فقير المشاعر، فقير الحياء، فقير الأخلاق، فقير النخوة ، أصبحنا في مجتمع حقًا يُعاني حرمانًا من التدعيم المعنوي والنفسي قبل المادي، أصبحنا كلنا مرضى نفسيين لأمراض مزمنة تؤلمنا، ولم نجد لها علاجًا سوى الحب المفقود الذي أبحث عنه وأركض خلفه، ليهرب هو دون اللحاق به، في عامي السابع والعشرون، ولا زالت الحياة راكدة، ما زلت على نفس الشاكلة التي كنت بها منذ طفولتي الخاوية من مظاهر الطفولة البريئة.

أتعجب حقًا كلما مر بي العمر ولم أتمني العودة للطفولة ولو للحظات كما يفعل الآخرون، كل ما أخذته من هذه المرحلة أني لا زلت أفتقد للأمان والدفء الداخلي وسلامي النفسي، أصبحت فتاة بقلب مفخَّم، حتى أصبح رمادًا، يوميًا أمُرُّ بنفس الروتين ما

بين العمل والقراءة؛ لأهرب من عالمي إلي عالم الخيال والأحلام، أُحدق بسمائي ولا أعرف بالتحديد فيم أُفكر، حياة خاوية، و فكر شريد، وروح مُعذبة تسبح في ملكوت لا علاقة له بأرض الواقع.

أضواء متعددة ألوانها، وفجأة تضل عيناي الرؤية، ولا أعرف ماذا أرى حقًا؟، أرى أشياء لامعة، وآثارًا لأشباح تتنقل في كل مكان من حولي، تتنقل نظراتي العابسة التي تبحث دومًاعن شيء مفقود لا أعلم عنه المزيد، تُراودني أفكاري المحطمة؛ لأبحث عن قوتي التي أدَّعي أنها داخلي وأتظاهر بها، يقتلني شتات فكري وتوهتي، ويمزقني جرحي وحرماني، وتُميتني آلامي وأشواقي، أكره الفراق والرحيل والوعود الكاذبة وكذلك الظنون السيئة، أكره ثوب التشاؤم والعجز حين أرتديه ولا أعرف كيف أتخلص منه؟!، كيف أطرد يأسي وهذه الوساوس الشيطانية عن عقلي لعله يرتد بصيرًا لحياة أخرى؟!

وأتساءل دومًا، ما بال الحياة تتلذذ بعذابي، وآلامي، وجراحي؟ ما بال أيامي تمر يومًا بعد يوم ولا أدري إن كان يمر هذا اليوم حقًا؟ كل يوم يمر أحدث نفسي أن هناك ما يُسمي بالغد فربما أفضل، ولكن يزداد همي، دائمًا بمفردي، لا أجد من يؤنس وحدتي حتى نفسي باتت كالموتى، أختنق حزنًا وحسرةً على عمرٍ مضى وهلك، فقد أضناني زماني.

بحثت كثيرًا عن الحب والأمان، وتقدم بي السن وكل شيء ضائع، أسير بهدف يموت ويصحو في اليوم مئات المرات، أمضي بلا هوية.

تتغلب علىَّ أحزاني، وتصارعها أحلامي، وعقلي يملؤه الشتات ما بين واقع مؤلم وحُلم تمنيته.

انتظرت متى يُحدثني القدر عما يسعد قلبي، ولكن كل ما حدث أخذ يلهو بي، مزّقني، وجعل حُلمي يقترب مني، وحبي الذي انتظرته طويلًا، وبالنهاية سلب مني كل شيء، ينظر إليَّ وتعلو ضحكاته الساخرة مني، فانقسمتُ نصفين لا بل أكثر من ذلك، لماذا فعلت بي هذا؟!

كل ما جعلتني أتوقعه، فرحتي بشيء لم يكن لي، جرحتني أكثر فأكثر، لمَ فعلت ذلك بي؟، لماذا لم يرحمني أحد؟، لمْ يرحموا دمعي وذُلي، وانكساري وحرماني، وألمي وحسرتي؛ حتى أنت يا حبيب العمر، مزّقني غيابك، كنت أنتظرك وطال انتظاري، أكنت أتوهم وجودك بالحياة؟، فخذلتني بخيالي المظلم، كل شيء خذلني "فكري وأحلامي".

وعن أيامي فخانتني، ونفسي المحطمة وقلبي المفحم، مازلت أتساءل، لمَ كل هذا يحدث لي؟!، كل ما راودني من أفكار عن الله والإرادة حاولت استجمعها كي لا أنهار.

تعبت من كثرة الخذلان والنسيان، فقد نَساني الجميع، وألقوا بى في أعماق بئر مظلم، لا ماء ولا هواء، فلم يعد أحد مهتم لأمري حتى الرحيل فلا يَسمح لي بالمرور.

في لحظة فرح انتابني شعور مرير بالخوف لا يقبله عقلي ولا قلبي، حتى خفق قلبي وظننت للحظة اقتراب نهايتي المتوقعة فقد تألمت كثيرًا، تملكتني حالة من الضياع لا أفهمها ولا أدري ما سيحدث.

فقدت بصري وبصيرتي عن الحياه نهائيًا، فأصبحت أطلال فتاة، كل ذنبها أن راودها حُلم تمنت لو يتحقق، فلا كان طلبًا لمال أو سلطة، ولا لكنوز من الياقوت والألماس.

فقد سلبتني الحياة كل آمالي، وأصبحت عارية لا أمل ولا أحلام، وفي طريقي لَمحتُ من بعيد شعاعًا يخبرني أنّ مازال في الأيام حياة، اقتربت منه وفي لحظة توقفت ونظرت للوراء، فما وجدت خلفي سوى ظلام دامس، وأخشى الخطوة الأمامية؛ فربما هذا الشعاع هو لهيب من نار لو أمسكته لاحترقت، فما عدت أثق بما يجري حولي، فما أكترث للحياة، وفقدت السيطرة علي عقلي وقلبي، وزادت آهاتي ووجعي، أيام رحلتْ عني ولن تعود.

ومنذ كتابة هذه الكلمات وأنا أتساءل كثيرًا، ألهذه الكلمات يومًا تُولد فيه ليقرأها الجميع ويشعر بها، تمنيت كثيرًا أن أكتب الأحداث بصيغة الماضي.

لكن كيف؟! فأنا أشعر بأن نفسي ذاتها تهجرني، أبحث عنها هنا وهناك، ولا زالت عالقة بين الماضي والحاضر، تريد الوصول إلى أبواب المستقبل، وتسألني من معي الآن؟ معي أحزاني وآلامي، وجعي وحرماني، دموعي وكل آمالي، وجراح لا تلتئم، الماضي بكل قسوته، والحاضر بألمه ومتاعبه، هذه صداقاتي، فلم يعد لي صديق ولا قريب في هذا الوقت كل ما أهدَته لي الحياة رقصة الموت على نغمة من الآهات، أرددها وتستمع لها الحياة بكل ما طاب لها من لذة.

دعيني فقد أذقتيني من العذاب وتجرعت كثيرًا من كؤوس الوجع فكثير من الكلمات المبعثرة تساورني، ولكن بمجرد لمس قلمي وورقتي يُنسيني الألم كل شيء، كل ما أتذكره ضجيج يفقدني الشعور بالحياة، وإن كنت أتمنى ذلك الفقدان حقًا.

كل شيء حولي يُفقدني الرغبة في الحياة، ورغم كل ما يحدث أقول أني بانتظار وَهمٍ لن يأتي بعد، رغم يقيني التام بوجوده على أرض الواقع، وحين يأتي سأعاتبه " انتظرتك مليًا وعانيت كثيرًا، فلمَ تأخرت؟، أم كنت أكبر علامة استفهام بحياتي؟، كنا دومًا أمام قدرنا، ولكني ابتعدت كبعدك عني، فقد خشيت أن أُهين نفسي وأقترب منك دون إرادتك فتخذلني وتكسرني، ولكن كسرتني الحياة بدونك"".

بداخلي وجع لا يمكن تفسيره، أنظر للعالم من حولي ولا أعلم أغبت عنه أم غاب عني، كل ما أعرفه جيدًا أني تغيرت، نعم، تغيرت وتغير كل شيء بداخلي، ولكن للأسوأ، تغيرت وما عدت أخشى شيئًا، ما عادت أحلامي كالسابق، فلا حب من الداخل، ولا سعادة من الخارج، فقد قاومت الحياة بكل ما أوتيت من قوة ونجحت، فلن أدعها تفوز لأخسر أنا، رغم أنها قتلت كل ما داخلي فأصبحت بلا معنى ولا قيمة، ولكن لازال هناك شعاع مضيء، فلن أسقط أرضًا، وحتى من أحببته وحدي، قديمًا ما كنت لأعرف كيف أُخرجه من داخلي، وكأنه ملك من السماء استحوذ علي قلبي وسكن روحي فما رأيت سواه، إلى أن وصلت لهذا العمر أبحث عن سبب وراء هذا الحب، وجاء هو بعد ذلك بأيام قليلة افتعل خللًا بمكانه داخلي، فلا هو يرحل عني ولا هو يتركني لأحفظ توازنه القديم.

فقد تركني بعذاب ما عدت أتحمل المزيد ولا باستطاعتي تحمل العناء منه هو، نعم، تركت كل شيء في هذه الحياه، وسأترك المزيد والمزيد، فلن أدع الحياة تقهرني أكثر من ذلك.

كلما أتى صباح جديد، لا أعرف متى سيحل الصبر عني؟، لا أعرف إلى أي مدى سأصبر؟، وإلى أين تأخذني الحياة؟، كل ما أريده هو الرحيل، الرحيل بعيداً، فكلما قمت بطيّ صفحات كنت أظنها تمزقت من قبل؛ أجد كل صفحاتي فُتحت في آن واحد، فأشياء محاها الزمان وأخرى أبرزها.

وأتساءل هل سأظل أعاني طوال حياتي؟، هل أصبحت داخل سجنًا مؤبدًا لسجيني الذي لم يعد يحمل بين ضلوعه قلبًا ولا حتى حجرًا ... فجميعنا يعلم أن الحجر يأتي عليه يوم ينشق وينبت داخله نبتة خضراء، أو يخرج ماء يسقي الظمآن، مللت كل شيء حتى البكاء مللت منه، تاهَ عقلي، لم يعد لي شيء، فقط أصبح الحزن هو لي كل شيء، ماعدت أطيق أغلالي، أتمنى لو أترك لجام قلبي على آخره، أتركه يطير ويسبح في فضاء نقي خالٍ من أنفاس الغدر والخيانة، يخلو من أيدٍ تبطش بكل قسوة، ويخلو من ظلم أو قهر، فلو أنّ القسوة إنسان لوضعته هو والظلم والذل والحرمان بقفص أضيق من خرم الإبرة، ولأغلقت عليهم ولألقي بهم في بركان ثائر؛ كي يُقضى عليهم كما فعلو بي، فلا تُخالطُ الدنيا ذرة شر أو كراهية، ولا تسمع، وتنسى القلوب كلمة الآهة، آوّاااه يا قلب تملّكته الحسرة، ماعاد لديك الآن سوى آلمك وحسرتك وبكائك على ما كان.

فمازالت أحزاني تطاردني، أحيانًا أشعر أن ما يحدث لي نقطة في بحر شيء لا يستحق الألم، ولكني سرعان ما أتحدث إلى أعماق نفسي.

أقول لها أن كل ما يؤلمني وكل وجعي الداخلي، وأن الذي حطم قلبي، هو الظلم والشعور بالقهر ورغبة من حولي في إذلالي، كل هذا جعلني أتشبث بأي قشة كالغريق، وسرعان ما أحدث نفسي "ربما هذه القشة الطافية على سطح المياه لا جدوى منها فلن تنقذني"، حينما أتجول في شوارع مدينتي؛ أنظر لعيون البشر لعل شخصًا ما يفهم ويسمع استغاثتي، تمزَّقت، وماعاد لي مكان بقلب أحد، وما عاد بداخلي شيء سليم، عجبت لهذه الدنيا، وهذا العالم المتسع، فرغم اتساعه إلا أنه يضيق بي.

ويلي! لم أجد في الحياه طعم السعادة، فقد رحلتْ عني نفسي، وتركتني أمضي بلا سيطرة أو دواء يشفيني من هذا الألم، أم أنّ نفسي ذاتها هي الداء الذي يشقيني.

فعندما نفقد الرغبة في ممارسة كافة ألوان الحياة، وعندما ينتابنا شعور بالبكاء، وعندما نشعر بتعب الدنيا فقد أبرحتنا ضربًا فتّت قلوبنا، وعندما نعجز عن مبادلة الحوار، ويصاب الجسد بارتجاف في كافة أنحائه، وعندما لا نريد حتى حقوقنا، ويصبح كل ما نريده هو الابتعاد عن العالم بأكمله، وعندما نحاط بمغناطيس من الألم؛ يجذب لنا كل ما يُميت ببطء، وتصبح أحلامنا غير ملموسة "أمان_احتواء_ حب" تصبح "كلمة حياة أمنية" هل نحن أموات لنطالب بالحياه كحق لنا؟ وبمرور الوقت نفقد ذاتنا فيكون السبيل الوحيد بالنسبة لنا غير مرئي.

أحاسيس كثيرة تجعل الخوف يمتلكنا ويحتل أعماقنا بلا مبرر، دون سابق إنذار ينتهك مشاعرنا بلا رحمة، ويهاجم مشاعلًا مضيئة داخلنا؛ ليضنينا بشدة ظلامه، فلا نعلم ماذا نفعل سوى نردد جملة واحدة"ليتنا نرحل إلى عالم أكثر نقاءً وطمأنينةً، يخلو من أنفاس الخبثاء"، فحقًا الحياة مرعبة، وخالية من الإنسانية.

الصمت دومًا صاحب سلطة على نفسي، فقد سيطر وقرر منحي لقب الوحدة المميتة، وحدة بين نفسي وبين الجميع، تنتابني ثورة عارمة من الداخل. ثورة لاتهدأ أبدًا وما زلت أكتمها داخلي وأقهرها لتبقى من الداخل، أخشى على من حولي جراء آثارها.

شعور بالضياع الشديد، فقد قُمِعتْ أحلامي ورغباتي، وطاقتي وأمنياتي، فقدت حتى رغبتي في الحديث مع أي شخص، أيًّا كان هو من البشر، قُتلت رغبتي بالحياه نهائيًا، وأتساءل "هل يأتي يومًا أعود مرة ثانية للحياة"؟ أيًّا يا تُرى ستمضي قدماي؟ لعلي أجد من يقرأ استغاثتي في صمت، أم أني سأبقي هكذا بلا حياه؟ سأظل بحياه مهشمة خالية من الأحداث المثيرة للفرحة؟ فقد تبدو لي الحياة ككهف مظلم، وأقف عارية علي أرض مُفتتة، وبنهاية هذا الطريق سد منيع، فلا أعلم كيف أمضي لأستكمل مشواري؟ ولن أتمكن من العودة، فعليَّ فقط أن أكسر تلك السد بكل ما أوتيت من قوة، ولكني لا أملك أدواتي، فكيف لي أفعل ذلك؟ وأُوقف عجلة الحياة هذه؛ لعلي ألحق بها.

أصبحت لي الحياة كنفق مسدود، وما أخشاه الموت داخل هذا النفق المظلم الذي يضيق في كل لحظة تمر، وفي كل يوم يمر أشياء تتغير، وأخري تظل كما هي، أحاسيس ومشاعر تتغير تارة

للأفضل وأخري للأسوأ، ما يذبل ويموت وما يحيا، تعلمت من الحياة أشياء مختلفة بمشاعر متعددة، فتعلمت إذا ذَبُلَ الورد أحتفظ به، ويبقي لي كأجمل ذكريات تعني لي الكثير، وبعد ذلك كل ما أحتاجه تبديله بورود أخري مزهرة تملؤها روح الحياة.

ذكريات أبتسم لها لحظة مرورها من أمامي، تُرافقها دمعة من الحنين ولوعة الاشتياق، نعم أشتاق لكل موقف حدث بالماضي كنت أشعر فيه بالسعادة، أشتاق لكل يوم مر عليّ كدت أصل فوق قمم الفرح، أو أشتاق لأشخاص كنت أتحدث إليهم وأشعر معهم بالأمان والانتماء.

حينما يأتي الليل يضمني في أحضانه، أحضان يملؤها الحنين والجرح، الألم والاشتياق، التذكر والرغبة في النسيان في آنٍ واحد، أنين لا يسمعه سوى ربي.

فلو سمعه أهل الأرض والسماء؛ لتمزقوا وجعًا ... ولا شيء ينتشلني من غرقي داخل ظلام الليل المخيف، لكن وسط ضباب ذكرياتي يأخذني صوت وكأنه منقذي الذي لطالما تمنيته، صوت جميل لأناشيد وابتهالات بالخارج وأصوات عن مدح رسول الله - صلي الله عليه وسلم-، صوت يدعوني للسلام ويبدد ظلمات اليأس داخلي، وينشر بكل خلايا جسمي شيئًا من الطمأنينة، صوت كلما علا؛ أشعر بالقوة وأهُم لألملم نفسي، ويأتيني الأمل؛ ليهاجم يأسي وحزني بعصاه السحرية، وتغمرني رحمات ربي؛ لتلمس قلبي وتُجبره وتضّمد جروحي؛ لأُكمل طريقي، ويمنحني الله قوة لمواجهة يومي الجديد بهذه الحياه، ويتكرر هذا السيناريو يوميًا فأقضي ليلي، لا بالنائمة ولا بالمتيقظة الواعية،

وينتهي وكأن مرت سنوات طويلة من العمر؛ لأبدأ صراعًا من نوع آخر في حضور شمس يومي الجديد، فتطاردني غربتي ووحدتي بين البشر، وأقاومها؛ لأُكمل طريقي نحو أحلامي الجميلة، أبدأ يومي بحيرة لا تنتهي وأحملُ همًا أثقل من الجبال، فكيف أقضي هذا اليوم الثقيل؟

أتخبط ما بين عزيمتي وإرادتي، ألمي ويأسي، حبي وحرماني، فقد أقابل صديقة تؤنس وحدتي لدقائق وربما أكثر، أو أقضي نهاري بألم الانتظار .... نعم انتظار مكالمة هاتفية من شخص بعينهِ، وهو الوحيد الذي يغير حالتي المزاجية تمامًا وأصل عندها لأقصى درجات السعادة، والقادر علي تبديل نظرتي للحياة من هذه النظرة الكئيبة المخيفة إلي سماء صافية وأرض ممتلئة بالورود والخُضرة حتى امتداد بصري وذقذقة العصافير، ولكن الشيء المؤسف هو أن هذه المكالمة لن تأتي أبدًا سوى بخيالي، وأحمل نقيض هذا الشعور، فلا أفقد الأمل يومًا، فليس أمامي شيء سوى الانتظار، فرغم أني مللت منه إلاأني بسبب هذا الانتظار أحيا بأمل لا ينقطع، ربما أفقده لدقائق ولكن سرعان ما أفيق من يأسي وتطرده أحلامي.

وحينما أشعر بنفسي العاجزة الغاضبة؛ أخجل كثيرًا، فأمضي بطريقي أحمِلُ نظرات حارة عابسة وثائرة، تود لو تنقض على بعض البشر اللذين تكون كل مهمتهم في الحياه الشر والقهر فقط، آهٍ ... لو تُطلق عيناي سهامًا ساخنة مسمومة؛ لتقضي عليهم وتُنفي أرواحهم لحياة بائسة يحتبسون داخلها.

فهكذا أقضي أيامًا من العمر، تمضي بلا فائدة، أحلم وأقاوم من ناحية، ومن ناحية أخرى أجد من يغرس سكين اليأس بظهري، أو يسلسلني، وأظل عالقة مقيدة بين جبلين يؤولا للسقوط، وأردد سؤالي الأحمق: هل من منقذٍ؟! ... هل من أحد يسمع أنيني؟! هل من يد لتنتشلني من ضياعي هذا؟! ... هل من أحد يُبقي علي حياتي؟! أم أن حياتي ليس لها قيمة بحياة أحدهم؟!

وينتهي يومي لكن آلامي لا تنتهي، تبقى مستمرة؛ لتعيد معاناتي، محتبسة مع ليلٍ طويل، وعالقة بنهارٍ عارٍ خالٍ تمامًا من مظاهر الحياة، وتمر الأيام، وأنا كما أنا لم يتغير شيء، أعاني وحدتي، وتُمسكني بقيود حديدية، ليتها تنهار قبل انهياري.

بدأت في الانهيار الفعلي، فكل ما ينهار هو حطامي وما تبقى مني، فقد سبق واعترفت أن ما يعيش الآن هو ما تبقى من أشلائي، أصبحت أنا مجرد أطلال قد لا يتذكرها إلا من عاصر مأساتي، لكن في كل لحظة سُكون أعرف جيدًا أن لا أحد يشعر بما أشعر به وما يجول بخاطري.

حزنت بما يكفي على ما فات وضاع وما هو قادم بلا ملامح، كل يوم جديد يأتي أمنح لنفسي أملًا بأن هناك يومًا ما زلت في انتظاره، لكن متى؟ إلى متى سأظل أتعاطى تلك المسكنات التي أضحت بلا أي تأثير؟

خدرت أشجاني وأصبحت كالميت، أشعر بمن حولي وما من أحد يشعر بي، حقًا أعجز عن التخلص مما يؤرقني، فكان نصيبي كبيرًا من الظلم، عانيت منه كثيرًا، ولم أكتفي بظلم البشر لي، فقد جرحت نفسي بيدي حين استسلم قلبي لقدر لم يكن لي

من البداية، بات قلبي محطمًا، وكلما طال عهد ألمي؛ أناشده تماسك ياقلب، ظلمتني مثلما فعلوا بي ولم ترحمني مثلما لم يرأف بي أحد، طال انتظاري لوَهم ظننته سيأتي يومًا ما، وحتى إن أتى فلن يجدني كما أنا، كل ما سيجده هو شبح لحلم وجه بلا ملامح، شوّهته الدنيا بجراحها، وقلب انكسر كمرآتي، أرى نفسي بها ممزقة بوجه شوهته الأحزان، وعينين تقرحتا، تذبلان يومًا بعد يوم، قد حفرت الدموع وديانًا على حدود وجهي، وجروحًا بكل مكان ولم تلتئم بعد.

كان كل ما لدي أن أتظاهر بالقوة والكبرياء، وبداخلي أموت ضعفًا، يمزقني أنين وصرخات مكتومة لا يسمعها أحد، تهتز لها ضلوعي وكأن شيئًا ما ينزع روحي بكل ألم، أجهل ما هو قادم، أتشبث بأمل قائم كلما قرأت تلك الكلمات "لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا"، لكني أخشى المجهول، أتردد بخطواتي واحدة للأمام وأخرى للخلف، أذهب وأعود، أطالب نفسي بالصمود، أطالبها بحريتي وأثور على كل القيود التي لا يطيقها عقلي، كل ما في الأمر أني أطالب بحرية العقل قبل الجسد، وأعلم تمامًا سواء حصلت عليها أو لا أن الروح لا تقبل القيود، تتحرر رغمًا عن إرادتها.

فكنت أشعر دائمًا بالوحدة، ولكنها ليست شيء مؤسف كما يدَّعي الجميع، لكن المؤسف حقًا الشعور بالغربة بمكان ممتلئ بكثير من الأشخاص، تنظر بعين كل منهما فلم تجد سوى بقايا شخص لازال على قيد الانتظار، وسيلة إنقاذ لن تأتي، حياة أشبه بميت موصول بالأجهزة الطبية، مجرد نفس خارج وداخل لا يعني

له الكثير، الورم الخبيث الذي يأكل أجزاء سليمة دون أن يشعر به أحد ولا يراه إلا بعد فوات الأوان.

لم أعد أنتظر الشروق بنفس الشوق والبهجة، فقد أصبح كل شيء مبهمًا بالنسبة لي، فأصبح شعوري بشروق الشمس هو تحطيم وضياع يوم من أيامي، أيام محسوبة معدودة بلا جدوى، أستمع لتغريد الطيور ونغمات العصافير، كأنها من الجنة ورائحة الصباح المنعشة وفنجان قهوتي وقراءتي لنزار قباني كل صباح، فكل ذلك لا زال طعمه ولا زال حنيني لكل شيء، أو بالأحرى لم أجد في حياتي ما أحن له أو ما يستحق، أسمع دومًا صوت الماضي الأليم يناجيني بصوت يتردد صداه داخلي بكل جبروت "أوصلتك للنهاية قبل ما أضع عليك بدايات الحياة، لا حب بالماضي ولا ذكريات سوى ألم بكل صفحاتك يخالطها الخوف والحرمان، جعلت الحياة تتلاعب بكِ وتعبث بمشاعركِ، فلا مكان بقلب أحدهم يُؤويكِ"، هكذا يحدثني الماضي خلف جدران الوحدة، فمن أوحدني هكذا؟! أبحث دومًا عن بدايتي فلم أجد لنفسي أية ذكريات غير المؤلم منها، فلم أصنع لنفسي ذكرى مُفرحة، أحداث معدومة وأخرى تتلاشي، فلا حوار بيني وبين أي شخص، لا سؤال من أحد، فلا أحد يشتاق لسماع صوتي ولا أهمّ أحد على الإطلاق، فأخباري لا تعني شيئًا لأي كائن، أنا فقط مسجونة داخل قوقعتي.

أنا من فعلت بنفسي كل شيء، تركت نفسي لمن لا يهمهم أمري وجعلت لهم سلطانًا، وألقيت بنفسي تحت أقدامهم، ربما كانت بسلامة نية وبكل سذاجة وهذا ما يجعلني أغفر لنفسي كل شيء، جهلت هذه الحياه ولا زلت أجهلها تمامًا، أصبح كل شيء

بالنسبة لي بلا قيمة، وبلا معنى، أشياء كثيرة أصبحت بلا مذاق، بعد ما كانت لي في البداية سر حياتي وبها أتنفس، وأتذوق منها طعم الأيام، وأحيانًا كنت أشعر أني عاشقة، ليس لشخص معين بالطبع، ولكن ألوان العشق كثيرة، فقد أعشق ذلك الصباح واحتساء قهوتي المفضلة، وقد أعشق قريتي الصغيرة التي عاصرت بها أيام ليست سيئة بالتأكيد، حيث الأصدقاء وأحبابي المقربين وحبيبي الغالي، فأول مرة ألتقي به كان هنا على وسادتي ما بين أحلامي، كان دومًا يتجول في ذاكرتي، فقد غرقت بتلك الأمنيات في نومي، فمنها حصُلت على الأمان والحب المفقودين، وعندما حانت الفرصة لنقترب في الواقع؛ منحني سعادة وقوة، وكنت أتمنى لو كان أسرع بهذا اللقاء كان سيتغير كل شيء.

فبعد طول انتظار، وبعد مرور قطار من جانبي ولن يعود، عاد، أو استيقظ بداخلي حلمًا كنت أظنه قد انتهى وأصبح بداية لاتصالي بالحياة من جديد، ولكن مافائدة عودته وأنا بواقع لم يسمح لي بمروره من أمامي، ناجيتك كثيرًا، وناديتك بقلب مكسور باكية، لمَ تـأخرت عليَّ يا كل أحلامي يا أجمل وهم عشت لأجله؟ لمَ تركتني ورحلت؟ فقد رأيتك دومًا بمنامي وتحطمت أنا قبل أواني، ناديتك ولم تسمع بعد يا نور أيامي، يا من تكون أيام لم تمضي ولم تأتي بعد.

تلاحقك عيناي وقلبي يحلق فوق سمائك، يتمزق إذا تألمت يومًا ويفرح بابتسامات يرسمها قلبك الغالي، ناديتك يومًا؛ لتروي قلبي الملهوف، لتشفي علة عانيت منها، وكان كل ذنبي أني أحببتك في

صمت، فهل هذا حقًا ذنب لن يغفره الله لي ولن تغفره نفسي لتعذيبها؟ ولكني كنت أريدها أن تحيا على أمل اللقاء يومًا.

وما زلتُ على عهدي، فلن أخبرك حتى من بعيد أني عشقتك درجة الجنون وأنت لم تشعر يومًا، سأدع قلبي محطمًا صامتًا، مهما تألم سيبقى صامدًا في حبك، فما عاد لحديثي قيمة، ولن يهم إن كنت تعلم أو لا، فقد اكتفيت بألمي وعذابي وعاهدتك مع قمري وسمائي بألا أؤذي قلبك فرؤياك تكفيني من بعيد، فأحدثك ولو بالعمر مرة، أتابع أخبارك وأدعو لك في الخفاء، وأطلب من ربي أن يسدد خطاك، فلا أريد وما أردت يومًا لكَ سوى السعادة ولن أخبرك يومًا أنك سر حياتي "هوائي ومائي ونبض قلبي طوال أيامي".

نعم تحدثت إليك في واقعي ولكن أشعر بحالة ندم لا أفهمها، أشعر برغبة بالبكاء، أشعر برغبتي في الصمت أمامك، نعم أخشى من لحظة تجمعني بها الحياة معك، فقديمًا كنت أشتاق لرؤيتك وأحدثك ولو بكلمة لكن الآن، أود ترك العالم وأترك لحظات تمنيتها لأطير بعيدًا عنك وعن كل شيء يقربني منك، أتوق لأبتعد عن كل ما مضى وعن ما أسكُن فيهن وقد سكَنت داخلي الرغبة في كسر الحاجز العالي المسجونة داخله، والصرخة المكتومة أنزعها من بين ضلوعي، وأسرع بعيدًا بعيدًا، فلا تقترب مني، فأنا ممن لو أقترب الحب منهم احترقوا، دعني أرحل بعيدًا، أبكي وحدي، دعني وشأني، أكمل حياتي وحيدة بلا ألم، ربما بلا عذاب؛ لعلي أنسى ما فعلته بي الأيام.

فأنت دومًا قصة لم تكتمل بعد، وأَظِنُ أنها لن تبدأ، فقد انتهت حياتي.

كنت لي حُبًا لم يُولد، ما رأى ضوءاً، وكنت لي حُلمًا لامعًا في سمائي، حكيت عنك وتغزلت بك لأصدق صديق في العالم، إن كنت حقًا في واقعي، فاسأل القمر يومًا في سماء صافية لا تشوبها سحب سوداء إن كنت حقًا تشعر سترسلك قدماك إليّ حيث أكون، إن رأيتك يومًا سأحكي للعالم بأسره أنك لست بوهم يعيش بأعماقي فقط، وإن لم تأتِ سأخبر العالم كله أني عشقت وهمًا، لكنه منحني الحياة، ولكنك إن كنت واقعًا لي فلمَ تأخرت بحق السماء؟ فلمْ يعد قلبي يبالي بشيء سواك، أؤمن أنك مقدر لي فأين أنت؟ قد تعبت وملأني الخوف والعذاب، أريدك تأتي كي أشكوك حالي، أشكو منك وإليك؛ لعلي أجد راحة بالي ويتوقف دمعي يوما.

واعتقدت يومًا أن خيالي العاشق لن يأتي عليه اليوم الذي يَملُ فيه من حب بلا أمل، ولكن كثرة الجرح وشدة آلامه أفقدتني لذة الحياة، أفقدتني أشياء كانت تعني لي الكثير، وكانت السبيل الوحيد لهروبي من حزني ويأسي وخوفي، ولكني فقدتها حين تأكدت لي بعض الحقائق عن حبيب تمنيته "الحبيب المجهول" وظننت أن بإمكاني أن أجده، أوهمت نفسي وعشت بوهمي حتى استيقظت على واقع مؤلم بكل معاني الألم، فزالت رائحة الحياة بفقدانه داخلي، سقطت أوراق بستاني وكنت أظن حبه لن يَذبُل أبدًا، ولكن مع مرور الأيام، كلما تمر لحظة أعاتب فيها نفسي، ماذا حل بي؟ ماذا لو استمر هذا العشق وحدي؟ أحب

من بعيد، أحلم في صمت وكتمان، أسترق نظراتي وأختلس لحظات لحب هو كل حياتي، لِمَ اقتربت أكثر مما كان يجب؟!

أعاتب نفسي بقسوة، قسوة كفيلة لتميتني آلاف المرات، ماذا لو أعاتبه؟ ولكن لا يهم فما من داعٍ لأرتكب كل هذه الحماقات بحق نفسي، لا داعٍ للجرح والإهانة، اعتقدت يومًا أن الأيام منحت لي الأمان ومهدت لي طريق الخلاص من المتاعب، وسرعان ما علمت أن ظني ما هو إلّا وَهمٍ كبير، وتحققت مخاوفي وكل ما كان يثير ريبتي، فشكرًا لحُبٍ منحني الحياة؛ لأموت كل يوم مئات المرات.

فقد كنت أبحث دومًا عن القوة، بحثت عنها بين أفراد عائلتي وبحثت عنها في أحلامي، كنت أبحث عن حب يحتويني وأمان يشفيني، ولكن منذ أن بدأت رحلة عنائي حتى الآن، آمنت بأن القوة لن أستمدها إلا من داخلي حين أؤمن بنفسي، وأعاهدها بأني سوف أحميها ولن أخذلها وقتها، فقط سأمتلك القوة وأقتل داخلي شبحًا كان دائمًا يراودني في كل مكان وزمان، في نومي ويقظتي، ألا وهو الخوف قاهري ومعذبي، فكم من أمنية أماتها وأماتني معها، وكم من الدموع أزرفت عيناي، وكم من الجروح داخلي، كم من المرات ظننت أن هناك شخصًا ما سيأتي ذات يوم، وكم أمضيت وقتي بالتفكير في ذاك الوهم الجميل.

حتى وإن أتى فقد فات الأوان، وضاع كل شيء، انتهى اشتياقي لحياة انتظرتها مليًا، ما عدت أفكر ولا أشتاق، سوى في حريتي وكرامتي المهدورة، في دمعي وابتساماتي الضائعة وخيباتي التي تتوالى ولا تنتهي، فكل ما مضى من جبروت وقع على قلبي

حتى أماتوه. وكل ما أريد قوله أني انتهيت حقًا، فما عاد من حقي أي شيء.

حياتي أصبحت عبارة عن أحداث متوقفة لا تتغير، ملل قاتل دون إقلاع، لا أحد يسأل عني ولا أعرف هل أمُر بذاكرة أحدهم أم لا؟ فكل من حولي حقًا لا يستحقون حبي واحترامي، وما أمتلكه و وحدة مليئة بالعذاب، مهما حاولت الاقتراب فبالنهاية أبتعد.

أوقات يتغلب عليَّ شعور مريب، فعندما أفتح عيناي أحدق في كل ما يحيط بي، وكأنها المرة الأولى التي أرى فيها ما حولي، ينتابني شعور مؤلم، وأبدأ أتساءل عدة أسئلة، أين أنا؟ كم مرّ من الوقت وأنا نائمة غارقة في أحلامي المزعجة؟ واكتشفت فجأة أن لم تمر أيام، بل سنوات من أفضل أيام عمري ضاعت ولا أدري كيف؟ فقد هلك عمر يوفني شبابي.

أشياء كثيرة لم يستوعبها عقلي، لم أعد أكترث سوى كيف أخرج من تابوت مظلم وأرحل بعيدًا، أعلم جيدًا مَنْ وضعني داخله وأغلق عليّ وألقى بمفتاحه في أعماق الأرض، فيا مهلكي وظالمي، هل جال بفكرك يومًا كيف أحيا؟ وما هو شعورك؟ أبك ضمير مثل باقي البشر يخبرك بما ارتكبته بحقي؟ أفكرت يومًا أنك طعنتني بخنجر مسموم، سمه يسري بعروقي يخالط حبيبات دمي لأموت ببطء شديد ولا يخفف عني هذا الشعور سوي خالقي؟ أيقظتني أيامي على كابوس رهيب، ووجدت أن الكل تخلى عني، الكل خانوني حتى نفسي أول من تخلت عني وتنازلت عن حبها لي.

أتحاور مع نفسي كثيرًا بمناقشة تدور، تنتهي وتبدأ غيرها إلى أن ينفد صبري فتتصارع معًا، فيصبح عقلي كحلبة المصارعة، وتنتهي بهزيمتي وأسقط صريعة التفكير المميت.

ومع مرور الأيام وُلد لدي شعور لحب من نوع غريب، هو حب لا يرى الحياة، حب لا يمكن الاعتراف به أبدًا، ويحتار عقلي أأحب شخصًا بعينه أم أني أبحث عنه بعيون من يحاورني؟ ليس من الجنس الآخر فقط، بل أيضًا من نفس جنسي، وكنت عازمة بشدة بعدم ممارسة الحب، عدا الحب الأخوي والأصدقاء، فغير ذلك مرفوض تمامًا رغم احتياجي الشديد لحبيب مفقود فقدته بمرور الزمن، رغم أنني لم ألتقي به يومًا.

حالة غريبة تعتريني، وتظل الأفكار تراودني وتحوم بعقلي، وبمجرد يدي تلمس القلم؛ أفقد كل شيء، أضغط على عقلي؛ لعلي أتذكر مشاعري التي تطاردني طوال الوقت فأفشل في الوصول إليها، وتفكيري المشوش يخيفني، حقًا سئمت هذا الخوف، فما أقبحه! صديق مزعج مضر مضل.

أنا من اخترت

كنت لا أريد أن أكتب عن أيام قد عاصرتها، فتلك الأيام مؤلمة حقًا و بها كنتُ أموت ببطء، ولكني أنا من اخترت هذا الألم، أهرب من أي لحظة تجمعني بها أوراقي وقلمي، فلا أريد الحديث ولا حتى أهمس لنفسي بما يحدث الآن، فبداخلي بركان من الندم، وآخر من العذاب، وثالث من الصراع.

وكلهم ينهش داخلي ويمزقني، فما عاد لي شيء سوى كيف أرحل؟ وكيف أفقد ذاكرتي أو أفقد حياتي للأبد؟ كيف أذهب لنومي لأدخل في غيبوبة طويلة لا أستيقظ منها؟ فلا أرغب بالعودة لمثل هذا العذاب، حيرة تملكتني، فلِمَ كل هذا؟ ما الذي يثير ألمي من الداخل، لِمَ كل هذا العناء؟ كيف أجد نفسي ومتى؟ وما السبيل لأقضي علي خوفي وحرماني ويأسي؟

دومًا تتملكني الدهشة لما يحدث، لهفتي لمن أعشق، والحنين لمن لا يحن لي، لِمَ عليّ الاقتراب لأُعطي قيمة لمن لا أعني لهم شيئًا؟ أحن دومًا لشخص هو سر حياتي وصميم عذابي، وإذا بحثت في الأعماق عنه؛ أجده يفتك بي، وإذا بحثت خلف شرفات قلبي أجده يُقيم داخلي سكنًا فولاذيًا أو خرسانيًّا، فكيف لي الرحيل عنه؟ فهو دائمًا راحل عني بعيدًا في الحياة، شاردًا غير مهتم لوجودي، فقد سحقتني أفكاره التي أعلمها جيدًا، ولكن ما زلت لا أصدق سوى ما آمنت به من قبل عنه، وبتُ في كل ليلة

أدعو ربي وألوذ به قبل خلودي للنوم وأناجيه: "الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا دائمًا وأبدًا، الحمد لله أنك أنت الله، تخفف آلامي وتزرع الحب في قلوب عبادك، الحمد لله أنك ربي، بيدك كل شيء، تمسح دمعي وتلملم جرحي وتجبر قلبي من كل كسر تسبب به البشر، ليس لي سواك يا رحيمي، تبقى دومًا معي حين يتركني الجميع، ربي إن كنت من عبادك العاصين؛ فاغفر لي، واعفو عني إن قلَّ صبري، ولا تحملني ما لا أُطيق، اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يُسمع، يا من تُعز من تشاء وتذل من تشاء، عزني بعزتك وتولني فيمن توليت، اللهم إنك تعلم ما وقع بي من ظلم من عبادك فارفعه عني، وردَّ لي حقي يا منتقم، وعوضني بما يفتح مداخل السعادة علي قلبي، و يا ربي، هب لي من لدنك رحمة، فمن لي سواك، وأنزل السكينة علي قلبي، وجمّلني بحبك يا عفو يا رؤوف، وأفوض أمري إليك يا صاحب الملك".

كنت وقتها كل ما أريده يدًا؛ لتربت علي كتفي، لتطمئنني وتخبرني: "أني معك ولن أدعك وحيدة في هذه الدنيا"، ولكن لم أجد سوى يد تمتد لي بكل قسوة، وتضع مستقبلي علي كفَّتي ميزان لا يعرف العدل، كفة بين أحلامي وأمنياتي، وبالكفة الأخرى حياة لم تكن لي من البداية، كانت العذاب بعينه، القتل بلا شفقة، نزع لروحي من دون رحمة، حتى من ظننت أنه بطلي الخارق وكنت أنتظره بشدة وأحتاجه في صمت وكنت دومًا أهمس إليه: يا من بيده سعادتي بعد ربي، ولكنه تركني ببداية الطريق، كنت متعلقة به، أموت بكل لحظة اشتياقًا وحزنًا، ناديته بداخلي: " كن معي فلن أسمح للحياة أن تأخذك مني ثانية"، ولكنه تركني، وجدت نفسي لا أُدرك من هو، ولا أعرف حتى من

يكون، حاولت أناديه ولكني أجهل اسمه، أو كلما جاء علي لساني؛ أشعر بعذاب يفقدني النطق، كل ما أعلمه أنيّ "لست خائفة" كما كنت بالسابق، وكان عليّ المواجهة بشجاعة، وإما الحياة بانتصار أو الموت بكل عدل، أما أنت يا من أحببته وظل ساكنًا داخلي ولن يرحل، فسأُحبك أكثر من ذي قبل، فحديثي معك منحني قوة تفوق قوتي، دُمت داخلي يا حبي الغالي.

معنى الوجع

قد تعجز الحروف عن نطق كلمات تعبر عن معنى الوجع، فأظل أبحث ما بين سطور الكتب، وأحرف القواميس والمعاجم على أمل أن أجد ولو كلمة واحدة تحكي عن وجع سكن داخلي، وعجزت كل مسكنات العالم عن إيقافه.

أشعر بلا شيء، كذبيح يتلوى من شدة الوجع، ولكنه حتمًا سيموت ويعلم مصيره لا محالة، ورغم ذلك يقاوم مقاومة تبوء دومًا بالفشل، أهملت كل شيء داخلي، أصبحت لا أدرك سوى دموع تذرف، لا من العين فقط، بل من كل جزء بجسدي، ضلوع تتمزق، كل ما بداخلي يتألم، آواااه يا قلبي، كفاك فقد عذبتني بما يكفي، أتوسل إليك وأسترحمك، يكفيني جراحهم، كن أنت معي فأنا لن أؤذيك يومًا، أنت من آذيتني، كنت دومًا أقسم عليك كي تلملم أشلاءً تناثرت في الماضي، وتجمع فتات أحلامي؛ لعلي أصل يومًا، فلا تُوقع بي ظلمًا يميتني ببطء كما فعلوا بي، فلا أنا أعيش كفتاة تحلم وتضحك وتعشق، ولا أنا بجثة هامدة غائبة عن وعي البشر، وبين كل وجع والآخر حُلم يبدد ظلماتي، وحُب وُلد ومازال ينمو داخلي، حُب لا يعلمه إلا الله.

رغم أن الحياة وضعتني بما لا أُحسد عليه، وجعلت سدًّا منيعًا ما بين حبي وحياتي، ولكن إرادة الله فوق كل شيء، فعلمتني مرارة الأيام أن كل أقدار الله خير، كل ما كتبه الله لي خير، وكل

شيء سيكون بخير، ودائمًا يعلو صوتي بالحمد لله، فالحمد لله لك يا ربي أنك أنت الله قادر على كل شيء، تسمع وترى، وكل شيء لك واليك يعود.

كما يعلم ربي كم أعاني وأموت اختناقًا، ويعلم أني لم أخُنْ سوى نفسي وأمنياتي، خانتني الحياة والأيام و جميع البشر، حتى عيناي خانتني، فقد أخطأتْ في نظرتها لبعض البشر، وأذرفت كثيرًا من الدموع حتى أهلكتني وأضعفت قواي، أكاد أستسلم، ولكن ليس للحياة بل للموت، فمرحبًا بك يا منقذي، فما وجدت يدًا لتنتشلني من بين هذا الألم سوى موتي ورحيلي من هذا العالم، فالحياة مخيفة ومؤلمة، وما أصعبه إحساس الخذلان، فما وجدت يومًا يدًا تُمسك بي وتعاهدني بالبقاء وتظل هكذا للنهاية، فعفوًا أيتها الحياة، ما عدت أطيق وأتحمل فقد مت داخلي ومات كل شيء، وسئمت من العيش بهذا الشعور، فلا مزيد من القهر والظلم والوحدة القاتلة.

موتى على قيد الحياة

هناك موتى من نوع خاص، موتى مازالوا علي قيد الحياة، موتى لم يتم الإعلان عن وفاتهم، من هم مثلي، فبالأمس شيعت جنازة أحلام مضت، واليوم أُحضر مراسم ما تبقى من أحلام، الموتى ليسوا من فارقوا الحياة لكنهم من فقدوا أنفسهم ولم يستطيعوا استكمال حياتهم، الموتى الحقيقيون هم من فقدوا الشعور بالوقت وبمن حولهم، وهم من وجدوا الحياة من حولهم خاوية، تسكنها أشباح وأرواح عالقة لا تستكين.

وأي ضباب أسير إليه؛ ليبتلعني شبح الظلام، وأتساءل حقًا، هل أنا لا زلت علي قيد الحياة أم أني من الموتى الذين لا زالوا عالقين بالحياة؟ موتى لم يُعلن عن وفاتهم، أصدرت الحياة في حقهم فرمانًا بالموت، ولكن دفنًا مؤجلًا لأجل غير مسمي، أحترق وأتمزق حسرةً، أصرخ وجعًا، وأنادي هل يشعر بي أحد؟ يا من عذابي من ملذاتكم، ألم يأتِ وقت لأفارق كل هذه الآلام؟ فكُفي يا دموعي، فأنا متعبة حقًا، فقد امتلأت وديان خداي وفاض كيلها.

فأين شعاعي المضيء، فقد تلاشت رؤيتي؟ فهل أستحق كل هذا العناء؟ ماذا فعلت بحق الحياة؛ لتعاقبني بكل هذه القسوة، فبداخلي قصر بنيته من رمال الوهم؛ لتأتي موجة من اليأس تحطمه، ويفنى كل حلم ظننته يومًا سيتحقق.

الليلة، وكل ليلة منذ نعومة أظافري تصارعني وحدتي، ما تركتني يومًا قط، كانت لي الصديق المخلص الذي لم يتخل عني، تمر بي لحظات أتمنى تزول وحدتي ولو لحظات، أتذوق طعمًا آخر، كل ليلة أشرب كأسًا من مرارة الأيام والليالي وأتجرعه، وحدتي أصبحت كالدابة التي قتلت صاحبها، رغم أني لم أجد صديقًا بوفائها يُلازمني الطريق، إلا أنها أحبتني لدرجة أني أكاد أختنق وأموت حزنًا، أيام تمضي وتمر تأخذ من العمر لتنقصه، عند غروب شمسي تأخذ معها حلمًا من أحلامي، وعند الشروق أحدق بشدة إليها؛ لربما جاءتني بحلم جديد أجمل.

أما ليلاً، أنظر للسماء، فكل ما أراه نجومًا لامعة ضوئها، يأخذني نحو الخيال، وكأنها تناديني، تلمع وتطفو بسحرها، تحتويني، وأرى بها وجه حبيب لم تجمعني به الدنيا بواقع يرويني، ولكن نظرتي لهذه النجوم أشعر كأنه يناجيني، أسمع نداه وشكواه، وكأنني بين كفوف تحتويني، أُمَني نفسي باللقاء يومًا؛ لعلى ربي يسمعني ويرضيني، أيا ترى يا حبيب ما أحبتني يومًا؟ سأراك في دنياي أم يضمني قبري قبل دواءك يشفيني؟ أيا تُرى ستأتي لتداوي جروحًا تكاد تميتني؟ أتعود أنت لتحييني؟.

أحببتك كثيرًا، وما كان جزاء حبي إلا عذابًا وألمًا، ما أدري، أهو فراق أم انتظار لقاء طال عهده؟ وبكل لحظة أنتظرك بها أموت مئات المرات وأحيا.

أغمض عيناي؛ لعلي أراك بين جفوني، وأفتحها فجأة على أمل أن أجدك ماثلًا أمامي تنظر إليّ، وتُهديني من باقات الورود ما

بعبيرها يشفي صدري، أكل ذلك وهم؟ فأنا أؤمن تمامًا أنك قادم، كيف؟ متى؟ لا أدري.

في لحظة شعرت كأن الحياة توقفت، فوجدت نفسي لا أشعر بشيء، ولا أرى من يبادلني الحديث، فجأة تحولت وجوه البشر إلى وجه واحد عابس يملؤه السأم، وترتجف عيناي المليئة بدموع تجمدت، فأرى شبحًا يخيفني يطاردني بكل مكان وزمان، أتنفس بصعوبة، أكاد أموت اختناقًا، ودقات قلبي كأجراس النواقيس، يراودني الشك أهذا حقيقة أم كابوس يخيفني في منامي؟ فقدت صوابي في أن أفرق مابين الواقع والخيال، فكيف أمضي لطريقي، وهذا الخوف لم يدعني وشأني، بقيت عيناي يهجرها نومها، فيتسلى عليّ الليل ليوجعني، حين أنظر حولي حيث الهدوء وانتشار الظلام، يخالطهم أصواتًا لنباح مرة وصوت سيارات على الطريق بالخارج مرة، ففي تلك اللحظة كنت كل ما أحتاجه " الأمان" الصديق الذي أبحث عنه في الطرقات، بين وجوه البشر، العابس منها والمبتسم، أتنقل هنا وهناك، وما بين واقعي وأحلامي، لا زال جاري البحث على أمل اللقاء في يوم من الأيام.

ليتني أصرخ؛ ليسمع الطير ويشعر حطام الأرض وأطلالها بألمي، لعل سمائي تمطر من شدة غضبي، ليت قلبي ينسى ظلمه وجرحه، فلا سبيل للنسيان والكتمان، فهل أخطأت أو أذنبت؟ وما ذنبي إذن؟ من جرحوا وظلموا ليسوا غرباء، ما كنت أظن منهم كل هذا الألم.

احتار عقلي بفكر تائهٍ، وبنظرات مؤلمة، وعيون دامعة قد دمرت ملامح وجهي، وأيقظت لي جراحًا قديمة، أشعلت نيرانًا بين ضلوعي، فماذا أقول؟ ليتني أعرف أو لدي القدرة على قول شيء يُهدئ مما أشعر به، أتمنى لو أجد محاربًا كما براويات وقصص الحب وأفلام السينما؛ لأحتمي به ويمنحني فرصةً معه للحياة، ويعلن عصيانه للجميع وينوي، إما أحيا معه بأمان أو يموت لأجلي، ولو أجد من يضحي من أجلي للحظات بعدها تنتهي حياتي، فلتأتِ تلك اللحظة؛ لأعلن فيها أني عشت العمر كله في لحظة واحدة، وأكتب نهاية صراعي مع الحياة بانتصاري في آخر لحظة، وهذا دليل أني لم أيأس، ولكني كدت أسقط من تعبي من هذه الحياة.

هل كُتب على القلب نار، وعيون دائمًا تحتار، وعقل شارد يفكر كيف يمحو هذا الدمار، فقد انطفأ نور قلبي وبُنيت أمامي أسوار من جبروت، ومضيت في طريق رغمًا عني، ما رغبته يومًا، انطفأت شموع الحياة، فحاولت تحفيز نفسي؛ لأجعلها تهدأ، وكيف أعيش مع كل هذه الأوهام؟ فلابد وأن نقوى على هذه الأيام، فطعم الجراح حقًا يؤلم، أيا ترى سيفارقني؟ ولم تاهت بي دنياي؟

أتوسل لك يا قلبي، تماسك فلا داعي للدموع، فكل دموعك ليس لها رجوع ولا بإمكانها تُعيد ما رحل عنا، أرجوك يا قلبي، لا تصرخ فأنين الصمت مميت، ارحل واهجر الجراح؛ لعلك يومًا تجد راحتك، فقد رجوت قلوب قاسية، وألقت بك؛ لتهلك أمامها وأمام عينيك، كنت تموت أمامهم مئات المرات بكل لحظة، فقد راهنت على قلوب فاقدة للإحساس.

شعور غريب، لا ليس بغريب، فدائمًا يصادقني الحزن والألم حينما أشعر بالخوف، والآن أشعر بيأس عارم، حالة ليس لها مثيل، وكأن العالم من حولي يهتز، ويذوب كل شيء، يتلاشى؛ ليصبح عدم، أود البكاء والصراخ، وتمنيت لو أحد يشاطرني ما أعانيه، ولكن لا أحد، أبحث في كل مكان بين البشر، بين زملائي، بين أهلي، ولم أجد سوى أنا بمفردي، بلا صديق بلا قريب، تحوم حولي ألغاز وتساؤلات لا تنتهي، متى ينتهي عنائي؟ ومتى يبدأ العمر الجديد؟ أين أصدقائي وأحبابي ومن كنت أظنهم الأقرب لي؟ أين أنا؟ وكيف أذهب؟ وأين؟

كل العالم، من حولي يتحول، وكل شخص يبدأ حياة جديدة، أما أنا فقد أنهت الدنيا حياتي مبكرًا قبل البداية، وكل ما أريده إنهاء مهزلة الحياة وعبثها معي؛ لعلي أجد فيما بعد بداية لحياة جديدة كنت أحلم بها نوعًا ما، فعشت ليالي طويلة أعاني في كل ليلة وكأنها ليلة لا تمر، أنتظر حديث أحدهم، أو سؤال، أنتظر شروق كل يوم؛ لعله يبدأ عهد جديد.

أبكي قهرًا من داخلي من شدة الوجع وأتماسك، وأحاول كتمان آلامي، أراقب هاتفي بين الحين والآخر، وأتفحص رسائلي؛ فربما هناك من يريد الاطمئنان عليّ، ولكن كعادتي أُعيد الهاتف لمكانه بشعور من الحنين يخالطه الأسى، أقضي ليلي في تفكير لا ينتهي، عن ماذا أبحث؟ عن ذكرى تسُرني، عن شخص داخل حياتي أحتمي به، فتستعرض ذاكرتي كل حياتي كشريط السينما، تألمت بشدة حين كشفت لي رحلة بحثي أنه ليس لدي أيً شخص بإمكاني أن أراسله أو أتصل به في لحظات ألمي أو احتياجي.

كانت تتثاقل همومي وتتكدس، كأنها مجموعة أفراد تتفاخر بقوتها، وتخلو تمامًا من المشاعر، ترهقني وتميتني عشرات المرات، ويطاردني خوفي بسيفهِ المسنون، وأقضي المزيد من الليالي أتصارع، وفي كل مرة لا أتمكن من المقاومة، فألجأ لتلك الأقراص المنومة؛ لأهرب من قسوة الواقع وعتمة الحياة إلي جزيرة أحلامي الطفولية، التي لازالت تحتفظ بشيء من الحب وخليط من روح الحياه وأحلام الفتيات الوردية، حيث الحبيب " فارس الأحلام"؛ لينتشلني من وسط ذلك الضباب، ويطلق لجام خيله بعيدًا، فلم ألتقي به سوى بأحلامي حتى هِمت به عشقًا، وكأنه حقيقة على أرض الواقع حتى آمن عقلي أنه ليس مجرد حُلم بمنامي، كان شعوري بوجوده يقين لا يخالطه شك، وكان يقيني به يزيدني عذابًا؛ لأني أفتقده، أحتاج لوهم يعيش بخيالي فقط ، فلا سبق وأن رآه أحد، ولا أنا تحدثت عنه سوى لفضائي الواسع الخالي من جبروت البشر.

فما من دواء أو تعويذة؛ لتصرف عني التفكير في ذاك الخيال.

طقوس الحزن

مر من أمامي سؤال على إحدى مواقع التواصل الاجتماعي "ما هي الطقوس التي تقيمها أثناء حزنك"؟ سؤال لم أفكر فيه من قبل ولو لحظة، أحزن مثل باقي البشر، لكن أي مراسم سأقيمها لهذا الحزن؟ فطقوس الحزن التي أعرفها هي مراسم الجنازات للموتى، فلم أجد ردًّا لهذا السؤال إلا من خلالي، أمراسم الحزن هي أن أرسم على وجهي ابتسامة كاذبة وبداخلي نار مشتعلة؟ أم أرتدي ملابسي بطريقة غير مرتبة يظهر فيها ارتباكي ومعاناتي لمن يراني؟ أم أسجن دمعة داخل عيني وأكتم صرخة بين ضلوعي؟

أمراسم حزني قلب لا يعلم به إلا الله؟ تتراقص داخله الأحزان وتقيم حفل افتتاح لتستقطب الجراح من حوله، أم هي أن أترك من حولي وأنعزل؟ أرحل بعيدًا بعقلي قبل جسدي، أو أدخل بغيبوبة طويلة لا يوقظني منها سوى ملك الموت لأُسلمه روحي ويرسلها لخالقي؟ أي مراسم حزن أعتنقها إذن؟ أم أن لكل حزن طريقته المناسبة، فالحزن مدارس، فتُرى أي مدرسة أنا تابعة لها؟

فإن بتُّ أبحث عن طقوس الحزن، فلا هي تنتهي، ولن تتشابه بيني وبين الآخرين، ولا بيني وبين بلاد العرب الغارقة في دمائها، فكلنا غارقون بأحزاننا، ونعيشها بطرق مختلفة؛ لنمارس ثقافة

التعبير عن آلامنا، فكلٌّ منا له طقوسه الذي يعيش داخلها، وخياله المبهم الذي ينقله من عالمه الواقعي إلى عالم آخر، إما يخفف عنه متاعبه أو يزيد معاناته؛ ليقبل على الانتحار بنفس راضية،لا تقبل المساومة لا على حزن ولا فرح، وفي نهاية الأمر لاشيء يدوم، فالعقل في وسط غيوم الحزن يبحث عن رائحة الفرح ولو للحظات تنسيه مرارة الحزن ولو لفترة وجيزة.

الوَهم

عشت سنوات من العمر في وهم كبير اسمه الفارس"فارس الأحلام"، وارتبطت به روحي وكل جوارحي، عشت وهمًا وكأنه حقيقة ومصير محتوم، ورغم كل الأحاسيس الجميلة التي كنت أحملها بين ضلوعي، كنت أعلم جيدًا أن الوهم الجميل أمنية حلمت بها في يقظتي ومنامي أن تتحقق، ولكن علمت أن هذا الوهم مخلوط بالخيبة والعذاب، تصاحبه الكثير من الهموم، استيقظت على واقع مخيف وحياة محطمة، كالسفينة التي بمجرد لمسها للماء؛ تفككت وهلك كل من عليها إلا من رحم ربي، أوقعتني الحياة في بحر من الخداع والغش، والكراهية التي لا تنتهي، والخوف الممزوج بالحرمان والعذاب، والوحدة التي رافقتني منذ خروجي للحياة، حتى فهمت أن هذه الحياه مرعبة حقًا وظالمة، يبدأ طريقها بالكذب والظلم، وينتهي بالألم، وبين البداية والنهاية حياة من العذاب والحزن، وبحر من الدموع، ونزيف من القلب، ورغم شعوري بالضعف والعجز إلا أني أتظاهر وكأني القوية، لا يهمها أحد ولا يشغلها شاغل.

كنت كقطرة ندى سقطت من سماء المدينة، ليتها سقطت على زهرة ببستان كما كانت تشتهي، أو غصن أخضر تفوح منه رائحة الخير، لكنها سقطت على جدران الخبث والألم، ورأت من قسوة البشر ما لا يُرى، ولن ألوم أحدًا على شيء فعلته الحياة بي، أو فعلته بحقي الأيام، تركت عيناي تلتفت يمينًا ويسارًا؛ لعلها تقع

على من يهمهُ الأمر، ولكن لا أحد يكترث بما أعانيه، وما يعانيه قلبي من مرض الفقد، والحرمان، والخوف، والخجل، ويعاني من جرح ينزف بلا دواء، أبحث عن طبيب، ولكن كل من حولي خذل وخان وجرح قلب إنسان، عفوًا، لم أجد بهذه الحياة ما جئت لأجله، جئت ولم أجد من يقف أمام الحياة؛ ليواجه معي الظلم ويدفعه عني، ولكني جئت وحيدة شريدة، وأخشى الموت هكذا، فبداخلي ألم أعجز عن وصفه.

ففي لحظة علمت بأن كل ما في الحياة أكاذيب، كنت أركض خلفها بكل قوتي، حتى كشفت لي الأيام أوهامًا عشت لأجلها "كيدٍ تحتضن آلامي، وقلب يحتوي وجعي، أو حب يضمد جراحي ويلملم أشلائي المتناثرة، كل شيء يلوح لطريق الوحدة، وسجن من الألم، فما عادت فرص للحب والأمان قد تهديها لي الحياه يومًا في هيئة شخص، فلا ينبغي انتظار ما لا يأتي، فأعرف جيدًا من أكون بالنسبة للجميع، صُدمت بصخرة هائلة في واقع مرير، وأُحدّث نفسي: ماذا جنيت لأرى كل هذا الألم؟.

أزمة ضمير

تكاثـرت الأقنعة حقًا، ما عُدنا نثق برأي ولا فكرة، أصبحنا نردد على صفحاتنا على الفيس بوك وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي، المثالية والبساطة، ولكن الحقيقة غير ذلك، حتى الأخلاق أصبحت نادرة، كل من نلمس سمو أخلاقه نتشبث به، بتنا في زمن خسيس لا يعرف عن البراءة شيئًا، ولا يعترف بمعنى الإنسانية، فكل ما في الأمر أن هناك أزمة ضمير تعانقها أزمة أخلاق ويصاحبهما التقليد الأعمى لما يبعدنا عن المبادئ العليا والدين الحنيف.

أصبحنا لا نرى حتى أنفسنا واضحة، فقد انكسرت بداخلنا مرايانا فعجزنا عن الاتصال بذاتنا، وعن صبرنا فقد عجز وفنى كما أفنت الأيام أعمارنا، وعن أحلامنا نتحدث فإن تذكرنا ما بقي منها؛ راودنا الأمل، وعندما نذكرها يطاردنا الخوف والسأم، أواه يا قلب، تعذب وبكى، أيوما يستقيم ظهرًا أحْناهُ الـزمان؟ ويا نفس لا تخدعكِ الحياة، فها هي أيام تملؤها علينا من الأحزان وليالٍ من الصبر والكتمان، وقليل من الفرح الغير مكتمل.

أُهديكِ الأمل، فالله معكِ، وما خاب من كان معه الله، فإن ضاقت بكِ سبل الحياة على أرض يحشدها غدر البشر، ففي السماء رب قدير يسمع ويرى، قادر على أن يبدل كل هذا الحزن إلى فرح، فهو رب : كـــن فيـــكون"..

عفوًا .. فمجتمعي لا يعرف الإنسانية

عفوًا فمجتمعي لا يعرف عن الإنسانية شيئًا، لا يعترف بالحرام أكثر من اعترافه بالعيب، فلا يهتم بمراقبة الله قدر ما يهتم بآراء البشر، يخاف الناس ولا يخشى رب الناس، به من الظلم والقهر ما يكفي لهدم الجبال، ومليء بالجبروت والقسوة التي تبعد عن الرحمة كبعد الأرض عن جو السماء، فيه الضعيف يُداس تحت الأقدام، به الحبيب يُحتقر بهذا الحب، والقلب يعرف طريق الذل والانكسار والاهانة، فيه من يريد الكمال لغيره، وهو ممزوج بالخطايا والعيوب، مجتمعي مليء ببشر يعشقون التدخل في ما لا يعنيهم ..... تاركون مهامهم واهتماماتهم؛ ليقوموا بالعرض اليومي، التعليق علي تصرفات الغير، مجتمعي يقهر المرأة ويستضعفها، وفيه يعاني الطفل من الإهمال، ويُنتهك عالمه الوردي.

مجتمعي ما عاد يحترم الكبار، وفقد المعنى الحقيقي للعائلة المتماسكة، أصبح مجتمعي يعاني من أزمة أخلاقية، فقد عقله وبصيرته، مجتمعي أصبح أعمى في تقليده، مجتمعي أحمق، يفتخر بماضيه دون العمل لحاضره، فما الذي سيتركه للأجيال القادمة إذن؟ مجتمعي يُكرم اللئيم، ويسحق الفقير، ويميت الضعيف قهرًا.

مجتمعي لا يرحم....

دعوني أرحل

دعوني أرحل من عالمكم هذا، دعوني أرحل من عالم الرجال، دعوني أرحل من عالم أشد قسوةً، وحياة أكثر رعبًا، دعوني أرحل بدموعي وأحزاني، بـألمي ويأسي وجرحي، دعوني أرحل بروحي إلى جو السماء، دعوني أرحل لعلي أجد عالمًا أكثر صفاءً.

عاهدت نفسي بالصمت والرحيل، ولكني آذيتها عندما تركتها تقترب من الحب، اقتربت أكثر فأكثر، وتركتها حتى احترقت بناره، ليس بنار حب الحبيب فقط ، ولكن بنار حب أناس كنت أظنهم يومًا قطعة مني، أعود وألجأ إليهم وأتشبث بهم، وفي كل مرة أكن لهم كالسلعة الرخيصة، تباع بأقل سعر.

جعلوني أشعر بمدى حقارتي، كأنثى ضعيفة عاجزة، وكم كان قلبي بنظرهم وضيعًا بلا قيمة، فلم يحترم أحد مشاعري، تركت نفسي لأشخاص لا يدركون معنى ثقتي بهم فخذلوني، قدموني على طبق من فضة، كأكلة شهية لحيوان مفترس أعمى وأحمق، عجزت لسنوات عن الإفلات من مخالبه الحادة، وكلما تخلصت من مخلبه، ألقوني ثانية تحت الأقدام.

دهسني قطار الحياة وحطم أحلامي لفترة، وبحثت عن شخص يجمع أشلائي المنثورة من بقاع الحياة، ولكن باتت أجزائي منثورة بكل مكان، ينهش بها كل عابر، وأبحث لألملم نفسي؛ لعلي ألحق بها قبل وصولها لبؤرة الضياع المحتوم.

فهل لي يانفسي لأسألك إلى أين تسيري بي في هذه الحياه؟

أشياء ممزقة داخلي، مشوهة، وأشياء أخرى لم يعد لها مكان، انتهت بكسر لا يمكن إصلاحه يومًا من الأيام، وفي يوم من تلك الأيام امتلأ صدري بالضيق، وتزاحمت أفكاري، وكعادتي قد يهزمني التعب مرة، وأزيل دموعي بقوة مرة أخرى، كل ما جال بخاطري وقتها جملة غريبة تحمل القليل من الكلمات، ولكنها تحمل معنى الوجع""أبسط حقوقي أصبحت هي أمنياتي".

فهل تسنح لي الفرصة؛ لعلي أتقي شر كارثة من الألم، فقدت تلك السيطرة علي مشاعري، فقد ضاقت حلقات صبري، والتفت حول عنقي، أكاد أختنق، كلما فكرت في طريقة تفكيري وما تحمله من سلبيات، وآلام، ومواجع، وشجن، وكم السواد الذي خيم على قلبي، أدخل بحرب تسحقني من كل اتجاه، أحاول طرد يأسي وأحزاني؛ ليستعمرني الفرح والآمال، وتسيطر على وجداني تلك الأحلام العنيدة، أستجيب تارة، وأخرى تنهال دموعي كالأنهار، وشعور مخيف يراودني، الوحدة ممزوجة بالحسرة والندم، وبذات الوقت يقابله الأمل والتفاؤل.

تحدُث داخلي صراعات، وأشاهد من سينتصر؟ أقسم على نفسي، بالله عليكِ اصمدي، أنصفيني لمرة، كوني قوية، فأنت تعلمين كم عانيت، وكم ضاقت بي الأيام، فقد سهرت الليالي؛

لتقسو عليّ، كم من مرارة حزن، وكم من خيبة تذوقت؟، وكم من كؤوس الحرمان تجرعت؟

فكنت دومًا أُشفق على قلبي مما يشعر به من ألم، ألم يمزقني من الداخل، يميتني ببطء في كل لحظة، يكاد عقلي يفقد صوابه من شدته، كنت أضع بين عيناي أحلامي، كل ما أريده، وما أفتقده وما فقدته أثناء رحلتي الشاقة، أعبر أيامي ما بين قلقي وخوفي وجرح عميق، وتحملني سفينة أحزاني، وتجدف أحلامي، حينما أشعر بالتعب واليأس والحرمان أتذكر حلم العمر، فما زلت أتنفس به ولأجله، رغم جهله، ورغم علمي التام أننا وإن التقينا ما عادت تفرقنا مجرد حدود، ولكن أصبح ما يحول بيننا الظروف، وأحداث مضت، وأحداث ستمضي، وأخرى سأجدها أثناء السير عبر سفينتي، ولكني اخترته ملازمًا، في كل سطر وبين كل حرف أكتبه؛ لأخبره أنه يعيش داخلي، يسري بكل قطرة بدمي، أما عن عقلي فقد طبع ملامحه بكل كياني، ما عدت أرغب في الحديث مع غيره، وما رأت عيناي يومًا غيره، تمنيت مرارًا لو أخبره أن حُبه هذا يملأ ما بين السماء بفضائها الواسع والأرض بعمقها المخيف، تمنيت لو أخبره أن حبي له أخمد براكين الكرة الأرضية بأكملها.

العالم الافتراضيّ

العالم الافتراضي، لن أقصد به مواقع التواصل الاجتماعي، فما خلف الشاشات ليس بعالم مزيف كما يقول البعض، ولكني اكتشفت أنها العلاقات الحقيقية، ونحن المزيفون، كلنا في حياة بعضنا افتراضيون، ليس لنا وجود بحياة بعضنا رغم تبادل الأحاديث، ففي لحظة تنتهي علاقات كنا نظنها حميمة وبها شيء من الحقيقة، ولكن ما من شيء حقيقي على هذا الكوكب، لا حب، لا صداقة، ولا عائلات، فهذه أصبحت معجزات في زمن انتهت فيه العجائب، هذه الحياه حقًا لا تحمل واحد في المائة من الثبات والصدق، فكل شيء بها نسبي يتغير مع الوقت، العمر، الضمير، الأخلاق، الاحتواء، الامان، الوعود، كلهم في إطار التغيير، ومن الاشياء التي اصبحت منتهية الصلاحية.

فمن يأمن غدر الأصدقاء ونفاقهم؟

من يؤمن بوهم الحب؟

ومن يجد الأمان في رحلة البحث عنه؟

كلها أكاذيب، أوهام نعيش لأجلها، وفي النهاية نسخر من أنفسنا، فكل هذه الأشياء التي نركض خلفها كرحالة، جميعها في لائحة المفقودين.

امرأة بلا عنوان

لا زلت عندما أمسك بقلمي وورقتي، أشعر كأن لا شيء داخلي سوى عذاب لا أتحمله، وأعجز تمامًا عن وصفه، شيء ما انكسر ولن يعود، شعور لا يفارقني، عندما أتحدث إلى نفسي فأجدني تائهة بلا هدف بلا عنوان، أنظر في عيون البشر؛ لعلي أجد ما أبحث عنه، لعل شخصًا ما يسمع صوت استغاثتي، وأتمنى لو ينظر إليَّ شخص ما باستطاعته فك قيدي، ولكن ما من شجاعة، فلم يعد هناك إنسانية، ويخالطني شعور بالخجل، ويراودني شبح من الخوف، وتنتابني مشاعر مليئة باليأس، لكن كل ذلك ما يلبث في لحظة ويزول، ونزيف داخلي من الدموع لم يتوقف يومًا، عانيت من الجراح والخوف، ومن وحدتي وهجر أحلامي لأيامي، خاصمتني الأيام ودام الصراع بيننا إلى أن وقعت أرضًا.

حين أنظر بداخلي، أجد كأني داخل كهف مظلم لا أرى محتواه، أسمع صوت أنين مكتوم ونبضًا يعلو وينخفض، وتظل أمنيتي في تلك اللحظة أن يتوقف، فما فائدة الجسد بروح سجينة معذبة تتلقى عذابًا لا يدركه العقل؟ عمر يمضي ودمعة تقع لتستقر على وسائدي، وجرح بالقلب لا يُستهان به، وإذا نظرت يومًا في مرآتي؛ أرى وجهًا قد تشكل بالعبوس، تظهر به تجاعيد الألم وحسرة الأيام، أيا أحلامي، بربك تحققي، فما لي بعد ربي سواك، أيا دمعة باتت في بستاني، توسمي في الحياه خيرًا؛ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.

عابرون

هناك أشخاص في الحياة بمجرد التفكير بهم، وأنهم داخل حياتنا، تغمرنا السعادة وشيء من التفاؤل، وهؤلاء من يشيروا لنا بأن الدنيا لا زالت بخير، وأتساءل ما كان يحدث لو لم نلتقي بعد؟

إذا تحدثنا إليهم؛ نجد أن كلماتهم كاليد تزيل دمعة، أو حضن يحمينا؛ ليبعد عنا سهام أحزاننا، وعيونهم سكن لنا، فإذا تاهت خطانا؛ ترانا لتعيدنا لطريقنا الصحيح، فهؤلاء هم روعة الحياة، سواء حاضرون أو غائبون، فالشعور نحوهم لا يتغير، نستمد منهم سر الحياه "سعادة_تفاؤل حتى الأمان الضائع"، فليبارك الله وجودهم.

قد يكون هؤلاء عابرون تحملهم الأيام إلينا ثم يرحلون، عابرون بثوا إلينا روح الحياة، عابرون لن تنساهم قلوبنا، ولن يُمحوا من شوارع الذاكرة.

لحظات قاسية

لحظات يخشاها الجميع، عندما يعشق وجود أحدهم في حياته ويخشي فقدانه، تلك لحظات الرد المختصر، علاقة لم أجد لها مسمى يليق بها، حديث وثورة من البكاء تنوح داخلي، ومشاعر مجروحة وقلب مكسور ينزف، وكل ذلك لا يهم، لا شيء جديد على صَدر يحمل قلبًا مفتورًا، كل ما جال بخاطري وقتها قرار لابد منه بألا أتطفل لحياة أحدهم أيًّا كانت مكانته داخلي، فلن أكن دخيلة لمن لا قيمة لي بحياته، فقط سأرحل عن كل البشر، ففي كل الأحوال أعاني الوحدة ، ولكن مع تعديل طفيف، فالوحدة حين أختارها أكرم من وجودي على هامش الصفحات، أو نقطة بحرف من بين السطور، وكلما تذكرت حبًا عشت أحلم به؛ تتثاقل أحزاني وهمومي، سنوات طويلة من البعد، حب بلا أمل، وبلحظة ظننت أن حُلمي تحقق أخيرًا، ولكن خيباتي ما أكثرها، تتوالى واحدة تلو الأخرى، حتى التفكير في هذا الحب، بت أخشى منه بعد ما كان متعتي الوحيدة، بعد ما كان يؤنس وحدتي ويقوي قلبي، فكل ما أخشاه هو هروبه من داخلي.

مضيت سنوات أشكي، وأناديه في الخفاء " يا أغلى ما في حياتي، يا سر وجودي وهنائي، فمن دونك سيفنى عمري وتنقضي أيامي"، تمنيت كثيرًا لقاء بيننا يترك لي ذكرى، وكنت أطمع في أكثر من ذلك، ونسيت أني أُطالب بما ليس لي، رغم أن حبي هو الوحيد الذي لطالما تذكرته، تبسم وجهي ونظر

للسماء الواسعة؛ ليرتوي منها ببشائر المستقبل، وأنتقل بخيالي بين النجوم وفوق السحب، أبحث عن كل ما يمكنه يحييني، بداخلي شيء يصرخ بقلبي وعقلي؛ كلما قررت أن أنسى خيالات حبي، وأفيق على أرض الواقع.

فكرة النسيان وحدها، حتى وان مت سأظل أسيرة هذا الحب، فلن يمحوه ألف جرح وجرح، ولن تبعدني عنه ملايين الأميال، ولا آلاف البشر، فعندما أحببت، أحببت بكل كياني وأغلقت أبواب قلبي عليه وفقدت مفتاحه، وأعلم أني لن أمر بذاكرة من أحمل له كل هذا الحب، ولن أكون سوى تلك النسمة العابرة على مخارج قلبه ومدارك عقله، ورغم ذلك ارتضيت بأن يكون لي كل شيء، وألا أكون له أي شيء، و في كل يوم وليلة تمر، أستعد للموت من أجله، أستعد لأتمزق لأجل سعادته، فهذا قدري أراه دومًا أمام عيني.

التغيير

أدرك تمامًا أن لا حياة تتغير في لمح البصر، ولن تتغير إلا إذا تغير المرء نفسه، فالرغبة في التغيير وحدها لا تكفي، حتى الشعور بالاشمئزاز والسخط الدائمين، وتركيز التفكير على الظروف السلبية، كل هذا لا يجدي، أعلمه جيدًا، ولكن أحتاج إلي إعادة التفكير به مرة ثانية، وإجراء تعديل سريع قبل فوات الأوان، فقد يضيع الوقت في كوننا نعيش داخل السلبيات بكل قوتنا، ونخشى الانحياز عنها والبعد عن صندوقنا الأسود الذي وُضِعنا به، فكل هذا عادة يحتاج إلى المجازفة والتطلع؛ للتفكير خارج صندوقنا هذا، مهما كانت المخاطر والعوائق التي ستقابلنا، ويتطلب أيضا التركيز على ما نرغب به والعمل علي تطوير أنفسنا.

قد لاحظت في الأيام الماضية أني أضعت وقتًا طويلًا، بل سنوات من العمر محتبسة داخل حزني ويأسي، كل ما أفعله لأخرج من معاناتي هو البكاء، أتذمر وأسخط من ظروفي، ومن الأشخاص التي وضعتني وكبلتني بقفل من حديد ومفتاحه ضائع، ولكن كان يجب عليّ أن أفكر بنفسي، وكيف أستخدم عقلي للتخلص من كل هذه الظروف الصعبة بأقل الخسائر، ومهما خسرت فما يهم بالنهاية ألا أخسر نفسي كما حدث في السابق، رددت في هذه اللحظة "فوضت لك يا ربي أمري، فأنت تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، إنك علام الغيوب، أصلحني يا الله و أصلح

لي حياتي البائسة فحقًا ما عدت بتلك القوة التي تجعلني في صمود، فلا تحملني ما لا أطيق""، وهمست لقلبي ألا أخشى شيئًا ما دام معي ربي.

هذه أنا

هذا أنا، حبة حروف على كلمات، أرسم ملامحي، وبقلمي أكتُب من أكون، وفي لحظة يمحو الزمان كل شيء كي لا أكون، فمحى ما بداخلي وما تبقى لي من ذاكرتي وأحلامي، حتى ذكريات كانت تعني لي كثيرًا؛ لتهاجم وحدتي وتقتلها فلا أحد يشعر بغيابي.

كنت أتمنى أن أحتفظ بما تبقى لي من أماني؛ لترافقني على شط الحياة، لأبني قصور أحلامي؛ لتأتي موجة ثائرة وتهدم كل شيء، وتحمله معها بلا عودة.

وما زلتُ طفلة

نعم أنا الفتاه التي لا زالت طفلة لن تكبر، رغم تقدم عمرها، وحتمًا في الحياة كثيرون مزقتهم الظروف، ولازالوا يحتفظون ببقايا طفلة، تحلم وتبكي وتضحك، تمرح وتلهو، تسامح وتغفر، وتنفصل عمن حولها حين تشعر بالرفض والنبذ، نعم أنا تلك الطفلة التي عانت ولم تيأس، تتنابها لحظات حزن وضعف، وقد تكون يائسة من كثرة التعب، ولكن سرعان ما تبث بها روح الأمل ثانية.

أنا أشبه بطفلة وليدة اللحظة، أنظر إلي العالم من حولي في صمت، كل شيء يبدو لي غريبًا، كيف أحيا بهذا العالم المتسع، فاتساعه مخيف، عيناي عالقتان بالسماء، والغيوم متزاحمة، يختبئ خلفها ضوء الشمس ليبدد هذا الظلام الدامس.

ولكن أين أكون؟ وكأن والداي تاهت بهم الحياة فأضاعوني، أُحدق بمن حولي، أجدني وحيدة تمامًا، لا شيء يجاورني، تُركت بالعراء، كيف أبدو بكل هذا الجهل؟ وكيف لي بسذاجتي هذه في استقبالي للحياة وأنا بهذا العمر؟ كيف أجهل التعامل مع هؤلاء البشر؟ حقًا لا أدري، ولمَ عليّ أن أرتدي أقنعة تغطي ملامح وجهي مع كل شخص أقابله في زمن انتهت به البراءة؟ أوجهي بهذه البشاعة ؟ أحقًا شوهته أحزاني وآلامي لهذه الدرجة؟

سرتُ بطريق لا أعرفه، وأُكمله دون إرادتي، أيا تري سأعيش بداخلي كشيء نكرة؟ يمتلكني الخوف والجبن، أم أنزع قناع ضعفي وأكسر قوقعتي؟

سجن الخوف ومنفى الحرمان والغربة، سأتمرد وأعلن عصياني؛ لعلي أصل لنفسي الضائعة، ولعل الأيام تجعلني أكبر من ظاهري، ولكن تسكنني طفلة ضعيفة وحيدة دومًا، انكسرت، تعاني دومًا من فيرس الاحتياج إلى الحب والحماية.

كنت دومًا أنادي يا من يهمه أمري، لا تتركوني وحيدة مهما بلغت القسوة، فكنت أخشى البقاء وحدي ولكني بالنهاية وجدت نفسي بمنفى بعيد تمامًا، يخلو من كل مظاهر الحياة، فيوميًا تدق به نواقيس الموت، وأجراس الخوف، ومراسم الجنازات، تمر الأيام ولا زلت أنا تلك الطفلة العالقة برحم الحياة، تنتظر وتتشبث بها كي لا تنزلق وتسقط ضحية صريعة قسوة الحياة، فحقًا أماتتني الحياة رعبًا، فكل ما قيل عن الحب كان سرابًا، وكل ما سمعته عن الأمان والحياة كان سرابًا سرابًا، والمعنى الحقيقي لحياتي، أني ركضت خلف السراب، ونسيت أني على كوكب الموت، فقد أخطأت حين ظننت أني بكوكب الحياة والإنسانية، ولكـــن إن بعض الظن إثم.

كلما علمت بحادث في بلدي؛ أتألم كثيرًا وأبكي دون سيطرة مني، وأشعر بهزة عنيفة داخل قلبي، كأن من فقد الحياة شخصًا مني، ولكن الأمر ليس هكذا، ففي الواقع أن كل شيء من حولي وداخلي يزداد سوءًا، فشعور الفقد مؤلم للغاية، والفقدان الحقيقي حينما أشعر بفقدان نفسي؛ فأشعر بحزنٍ

دامٍ، وأتوسل لهذا الحزن أن يرحل من داخلي، حقًا مللت منه، أريد ممارسة حياتي وألقي بالخوف خارجًا، أريد أن أتخلص من مشاعر تؤلمني حقًا، لا بل تميتني ملايين المرات في لحظة واحدة.

أشعر بوحدة قاتلة، وحدة اليتيم "يتيم العائلة، يتيم الأصدقاء"، يتيم بكل المعاني، ولن أرأف بحالي كما سحقني الجميع، فإن قسوت على قلبي، فقسوتي هذه لكي لا أنكسر، فإن وقعت يومًا، أجد نفسي ملقاة في العراء، لا يد ولا عصا أتوكأ عليها، إن أخذني الحنين فأقاومه؛ ليرحمني من هلاك محقق إن ظل داخلي، فلا أريد حنينًا يسكن داخلي، ولا حبًا يأتي ليمزقني، ففي السابق كانت فلسفتي في الحياة وعن الحب والوفاء خاطئة، فهي من حطمتني وأضنت قلبي، وجعلتني مصابة بنزيف داخلي لا أحد يشعر بشدة ألمه.

فأصبحت أحمل بداخلي روحًا ميتة، لكنها لا زالت عالقة على أمل البقاء؛ لعل أحدهم يمنحها صدمة كهربية ليعيد نبضها من جديد، ولكن كل ما منحته الحياة لهذه الروح صعقات تؤلمها بشدة، فتصرخ روحي المعذبة في صمت، فقد خُذلت، كانت تنتظر عودة من يعرف ألمها جيدًا، ويمسك بيديها وهي على حافة الانهيار، أي روح هذه التي أحملها حتى ثَقُل حملها، وما عادت قدماي تقوى على حملها، كنت في كل دقيقة أنتظر شخصًا بعينه؛ ليساندني، وقررت الذهاب إليه، لكن قسوة قلبه جعلتني في ذهول تام، عجبًا، ماذا فعلت له ليحمل كل هذه القسوة ومرارة الكلمات؟ وكأن عذابي ملاذه الوحيد، رغم توسلي له ببقائه وشدة احتياجي له إلا أنه لا يمتلك أذنًا تسمع ولا قلبًا يشعر، أُرغم

نفسي على احتضان عذابي داخلي وأرحل وأثور عليها؛ كي لا أنتظر الشفقة ولا أطلب الرحمة ولا أتوسل البقاء لأحدهم، كل لحظة ألم أعيشها تعلمني كيف أكتفي بوحدتي وأعتاد عليها، كل لحظة تمر تجبرني على ضرورة القوة؛ لأواجه هَمّ الحياة، وأثور أكثر فأكثر؛ كي لا تهزمني أحزاني، حتى عقلي يذكرني بأحلامي.

نعم أرى كل شيء أمامي، أرى مستقبلي الذي ربما بيني وبينه خطوات معدودة، وبعدها ربما ينسيني الوصول، معاناتي بعمر كامل، وليبقى كل من تخلى عني بعيداً، وتصبح أمنيته أن يعود به الزمن؛ ليصلح ما أفسده وما كسره داخلي، ولكن هيهات، لا شيء يعود كما كان في السابق، فقد تعلمت من الحياة أن طريق المعاناة والإصرار على ضرورة الوصول، هو الطريق الصحيح الذي يأخذنا إلى أحلامنا، ولكن ... هذا ليس كل شيء، اختر المعاناة الهادفة البعيدة عن الظلم، المليئة بحب الله وتقدير فضله وامنح لنفسك القوة من معاناتك، ولا تنتظر الرحمة إلا من الله، ولا تأمل أن ينفعك الآخرون إلا ما رحم ربي، فلو اجتمع الإنس والجن على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، فلا تجعل للخوف مكانًا داخلك، مارس حياتك بقوة وشجاعة، واحسم أمورك وتوكل علي الحي الذي لا يموت، فالطريق المليء بالعواقب فيه يزدهر القلب وينضج العقل، وتعي النفس ما يحوم في صدور البشر، فامنح لنفسك القوة الذاتية، ولا تنتظر شيئًا من أحد.

أنا والمستحيل

أُهاجم المستحيل في خيالي فقط، وأتمنى لو تنتقل قوتي هذه لواقعي، تخور قواي تارة، وألملم أجزائي المتناثرة من تحت الأقدام تارة، وأمضي بطريقي، تمنحني الحياة قوة، وتهديني نغمات تتراقص عليها أحلامي، وأحيانًا تدق موسيقاها المرعبة؛ لتُبقيني داخل حجرتي المظلمة.

وكلما هاجمني اليأس وخارت قواي، كنت أهمس لنفسي دومًا: كوني قوية فالحياة فخ عميق لا ينجو منه الضعيف، تمر الحياة على أي حال، سواء كنتِ قوية أو ضعيفة، فهي تمضي وكلها أيام تنقص من العمر، ولكن الفرق الوحيد في النتيجة، ما سيحدث، وما حصيلة إذا استمررت بهذا الضعف، فتبقى حصيلة أحلامي وأمنياتي صفر، لا شيء، أحيا داخل أحلامي وخيالاتي، وأستيقظ على حقيقة مختلفة من الأرق والتعب، سقوط حر من أعلى جبال العالم لأعماق الأرض، وحرارة البراكين الثائرة، فأظل عالقة بنقطة لا تتغير.

وإن كنت قوية فكل شيء سيتغير، فأمضي بخطواتي، الواحدة تلو الأخرى .... تقابلني العواصف والعراقيل وصدمات البشر القاسية، ولكني أقاوم وأركض خلف أحلامي لأُمسك بها، فلن أدعها ترحل عني ثانية، وفي نهاية المطاف الاختيار الأول لي، أنا من أُقرر قوتي أو ضعفي، وإلا ستختار الحياة نهاية غير مرغوبة

خارج حدود طاقاتي التي نفدت، فتعلو صرخاتي لتهز أعماقي وأخبرها: كوني قوية وإلا سحقتك الحياة بلا رحمة، فأمام القوة لا يعرف القلب المستحيل، تُلوى يد الصعب، ونسلك الطريق نحو أيامنا القادمة، لعله يقابلنا القدر بشيء من الحب و الأمان.

عشقي نجمة

كل ما حولي يوحي إليّ بشيئين متناقضين "التفاؤل و التشاؤم" ، "الإصرار والاستسلام"، أنظر للسماء، فأراها تارة قاحلة شديدة السواد، وأخرى تضيئها أنوار النجوم، أما عن تلك النجمة اللامعة، أعرفها جيدًا، هي نجمتي التي أعشقها، توصلني بمن يجهلني، وسهرت ليالي طويلة أفكر به وأبحث عن وجوده بين البشر، ورائحة الخضرة بهوائها العليل، فأشعر بوجوده يلمسني، يمنحني السعادة، ولكن هذا الشعور أيضًا سبب لدموعي وانقسام قلبي، فكل لحظة أبحث فيها عنه ولم أجده؛ تذبل فيها روحي مع الأيام، عدا حبي المجهول، يرويها لحظة ذبولها، ويؤنسها في غربتها، ويضمد جرحها المفتوح، فليس هذا حب حديثًا، لكنه أيضًا حبًا لا يرى الشمس.

وسأمضي في طريقي إلى القمر، لست وحدي سيكون معي أحلامي وأمنياتي، فقد جمعتهم معي، جمعت أمتعتي وأغراضي المفضلة، لملمت نفسي وذكرياتي الجميلة واصطحبت معي صديقة دربي في صباحي ومسائي، في وحدتي وعزلتي، وفي زحمة البشر"قهوتي"؛ لترافقني رحلتي ومشواري الطويل.

معي صورة حبي الغالي التي طبعها الزمان بعقلي، وأصبح مرآة عيوني، فسأصل لسطح القمر بسعادتي وحبي و أمانيّ، وسأترك في هذا الكوكب كل إساءات البشر، سأترك لهم جراحهم وأحزانهم، سأصل بقلبٍ جديد طهرته رحمة ربي بعد ما لوّثه غدر البشر.

الوقت المناسب

كنت أتساءل دومًا، متى يكون الوقت المناسب؟ وما المقصود به؟ حينما تراودني فكرة أقول في الوقت المناسب سأنفذها، وأتركها لأجل غير مسمى، إذا أوقعتني الحياة بفخٍ ما، أقول في الوقت المناسب سأواجهه، وأفكر بحل بشأنه، وأمضي بطريقي المعتاد دون أي رد فعل، وفي الماضي، في أعوامي الدراسية كنت أترك أوقات الاستذكار للوقت المناسب، فماذا كنت أقصد بالوقت المناسب في تلك اللحظة؟ وإذا هاجمتني عاصفة كعواصف الصحراء لمواقف كان يتحتم عليّ فيها المواجهة، كنت لأذكر كلماتي، وهي "في الوقت المناسب" سأدافع عن نفسي وعن حياتي، فمتى كان الوقت المناسب وفي أي وقت يحضرني؟ وهكذا يمر العمر على نفس الوتيرة، قرارات مؤجلة لحين يأتيني الوقت المناسب.

أفكار حمقاء ومعتقدات عقيمة، ومررت بالعديد من التجارب والخبرات في الحياة، وكان عليّ المواجهة، واتخاذ قرار ما بشأنه سيغير مسار الحياة بالنسبة لي، فكنت على بُعد خطوة واحدة من تحقيق ما أريده، ولكن بسبب اعتقادي أن هناك ما يُدعى بالوقت المناسب ينتهي كل شيء، أضعت العديد من الفرص التي لا تأتي سوى مرة واحدة بالعمر، أو بمعنى آخر أشياء من قبيلها سيتغير اتجاه مجرى الحياة.

كما علمت أن لا شيء يسمى الشخص المناسب في الوقت الخطأ، فكل شخص نقابله يأتي في وقته المحدد المناسب الذي يليق به وبرغباتنا وبدرجة قبولنا وتغيراتنا، وعلمت مؤخرًا أن الوقت المناسب وحدي أنا من أختاره، فلا موقف يحكمني ولا أشخاص، فأنا من له السيادة في القرار، وأيضًا المسئولة عنه، من غيري سيواجه مصيري المحتوم وعواقب تخاذلي وخنوعي؟

إذن لا يوجد ما يُسمى بالوقت المناسب، فدومًا يحتاج المرء لإعادة النظر بأفكار ومعتقدات يحملها .... توارثها من ثقافة مجتمعه.

رسائل من عاشقة متمردة

أكتب إليكَ يا ملكي الأعظم، مولاي، كنت لي حبًا بلا ذكريات، أما الآن،فشكرًا لك؛ لأنك منحتني تلك الذكريات الأبدية، وستبقى معي طوال حياتي من أجل البقاء ... أأخبرك أمرًا آخر؟!

خُلقت بهذه الدنيا؛ لأُحبك فقط، وأتمنى لو تخبرني يومًا أنك بهذه الحياة لأجلي.

مُتيمة أنا بك، فإذا أردتُ الالتقاء بك أُغمض عيناي، وأهمس باسمك وأظل أردده؛ لأراك في جو السماء، أُعانقك بشغف، أبكي بين تلك الذراعين وأستند على ذاك الصدر، ألامسك بقلبي وروحي وأحاكيك بحبي، ألمي وجرحي، فراقك وغيابك وسكونك العميق داخلي.

إلى من؟

شكرًا لمن وهبني السعادة على غير موعد، ولو للحظات ستدوم حتى مماتي، إلى من أذكره دومًا داخلي.

سلطاني وتاج على رأسي، هو من جعلني أشعر معه وكأني ملكة، ولا أحد سواه يستحق أن أطلق عليه لقب مولاي، أدين له بعمري، الماضي والحاضر والمستقبل.

إلى من حبه كان هو ذاك العذاب الجميل، الذي أشعل النيران بقلبي لسنوات مضت، وأخرى قادمة، ولكنه أحياني وأسعدني لوقت طويل، إلى من شجعني لأواصل المضي لطريق أحلامي، ثم رحل دون وداع، ولم يعدني باللقاء، رحل قبل أن أخبره أن بغيابه ستغيب روحي، وإن ظللت على قيد الحياة ولكني سأنتظر.

حواء

اعشقي رجلًا يجعلك ملكة في قصره الصغير، فلا تدخله أنثى غيرك.

اعشقي رجلًا لا يسمح بأن تفارق الابتسامة وجهك.

اعشقي رجلًا يُريكِ العالم كم هو متسع تملؤه البهجة والطبيعة الساحرة.

اعشقي رجلًا يمنحك الأمان ولو تباعدتم أميالًا.

اعشقي رجلًا يمنحكِ السعادة الأبدية بنظرة من عيناه.

اعشقي رجلًا تزدادي جمالًا وأناقة بحبكِ له.

اعشقي رجلًا به تعشقي ملامحك ونفسك، وتبقين مُتوجه علي عرش قلبه.

اعشقي رجلًا يحترم عقلك، ويشاركك أحلامك.

اعشقي رجلًا يُلبسك أثواب العزة والكبرياء.

اعشقي رجلًا يعشق ضحكتك وملامحك.

اعشقي رجلًا في وجوده تملكين الدنيا بما فيها من بساتين وزهور وحدائق خضراء.

اعشقي رجلًا يحتل أعماقك؛ ليُبنيها لا ليهدمها.

اعشقي رجلًا تكونين له كل النساء. اعشقي رجلًا يضخ بشريانكِ روح الحياة.

اعشقي رجلًا يمنحك القوة والشجاعة اللازمة؛ لتواجهي متاعب الحياة.

اعشقي رجلًا تمضين بمشوارك ولا تخشي ما سيقابلك بمنعطف الطريق، فأنتِ تعلمين جيدًا على أي يدٍ تتكئين.

اعشقي رجلاً يحتويكِ بكلماته، يحتضنكِ بنظراته، ويحافظ عليكِ من نفسه قبل غيره.

اعشقي رجلًا برجولته؛ يكن لكِ كل شيء.

اعشقي رجلًا تجدينه العالم والدنيا وما فيها.

اعشقي رجلًا يكن لكِ مدينة كاملة بسكانها ولهوها وأفراحها"كمدينة الأحلام".

اعشقي رجلًا كعشق السماء لنجومها، وعشق الليل لقمرها الساهر.

اعشقي رجلًا تقف الكلمات والقواميس والمعاجم أمام وصف هذا العشق.

اعشقي رجلًا لا يمل أحزانك، ويسعد لفرحك ويغضب ويثور على العالم كله إذا هاجمت الدموع عيناكِ.

اعشقي رجلًا يذيب بحنانه همومك ويمحو ذكرياتك المؤلمة، اعشقي من يصنع لكِ مدينة من السعادة الكاملة، من يصنع لكِ ذكريات تقاوم كل الوجع من غدر صديق أو مفارقة حبيب.

اعشقي رجلًا يبقى لكِ عبر الزمان الصديق وقت الوجع، الأب لتبقي عنده طفلته المدللة، الابن لتكوني له الأم الحنون، والحبيب فارس الفرسان، وكوني له عاشقة عنيدة في حبكِ متمردة.

اعشقي رجلًا تختفي به أمامك كل الرجال.

اعشقي رجلًا يحارب ويقاتل من أجلك الدنيا.

اعشقي رجلًا تفتخرين برجولته.

أبحث عن ذاك الشخص الذي ينتظرني كثيرًا؛ ليهديني وردتي الحمراء، أبحث عن ذلك الأنيق لا بملابسه ومظهره، بل برقي أخلاقه ورقة مشاعره وطيب وصاله، يمضي وتفوح منه رائحة الأمان والأمل، يرتدي ساعة؛ ليوقف بها الزمن، ويخلق لي وقتًا؛ لأعيش فيه حاضري، ليعوضني عما مضى، ويصنع لي مستقبلًا أعيش لأجله، ويبني لي مكانًا بقلبه، يبعد تمامًا عن نفاق البشر، يلقي بنظارته الشمسية؛ ليريني العالم بلون آخر، لا هو بالأسود ولا البني، ينزع عني تلك الستائر السوداء التي نسجتها الحياة أمامي.

أبحث عن ذاك الشخص الذي يعطرني صباحًا بنسيم الريحان، أحتسي معه قهوتي الصباحية وأستمتع بها، فتصبح قهوة بنكهة الحياة.

أبحث عن ذاك الشخص الذي يهديني كتابًا؛ ليبعث على عقلي نورًا، ويضيف لوحدتي العديد من الأصدقاء، ومزيد من الكواكب والنجوم.

أبحث عن ذاك الشخص الذي أغمض عيناي في وجوده وفي غيابه، فأدخل بحالة من السكينة والطمأنينة.

أبحث عن ذاك الشخص الذي يهديني طعم الحياة.

الغياب المرعب

أين يكون ذلك الغياب الذي يشبه مثلث برمودا المرعب؟ الذي يذهب إليه كل غالي وحبيب ولا يعود مرة ثانية، ويصبح في قوائم الوجع، كيف الذهاب إليه؟ وما السبيل للوصول إليه؟ فأنا لا أمتلك أي وسيلة للوصول لذاك الغائب إلا أن أُغمض عيناي وأتصل بأعماق قلبي لأسأله، لم رحلت؟ وعدتني بالبقاء وتركتني وحدي بلا مبرر، أين أنت يا غائب؟ رحلت ونزعت معك روحي وجعلتها عالقة بحلقي، لا هي تركتني لأرتاح، ولا هي عادت ساكنة، أكاد أختنق، أتألم كثيرًا وأموت ببطء، فهلّا شعرت بهذا الوجع المميت؟ لِمَ كل هذا الغياب؟ ولِمَ ارتضى قلبك معاناتي؟ أحقًا لم أعد الشخص الذي يهمك؟ ورغم ذلك لا أريد سوى وجودك، سؤالك، كلماتك، وقسوتك قبل حنانك، أناديك دومًا بصرخة مكتومة ودموع أرهقتني، حقًا أين أنت يا قاتلي؟

يا من أشعلت النيران في صدري، وسكبت صهر الحديد على قلبي، وكويتني بألم فراقك وهجرك الطويل، أعاني دومًا من جرح فقدانك، أتوسلك تأتي؛ لتضمد جراحي وتوقف نزيفي الداخلي، الذي عجز الأطباء في علاج إيقافه، ولم يعرف أحدهم أن غيابك هو دائي وعودتك لي دوائي، أي قلبٍ تملكه أنت؟ أخبرني بالله عليك، ليهون عليك قلب يحيا لأجل هذا الحب، فقد قرر أن يترك كل ما في الحياة، ويحتفظ بهذا الهوى، فهذا ما قال عنه أبي فراس الحمداني" إن الهوى للبلى جسرٌ".

أكتبُ من أجلك

أكتب من أجلك فى صمت، فليس كل ما كان يقال، أحرص على ألا أفقدك يومًا، كنت لي بعيدًا، حتى السلام بيننا كان من المحال، أما الآن فأصبح الحديث الطويل بيننا كأجمل الأحلام، وعن قرب ألمس ضحكاتك وأحزانك وأسمع دقات قلبك، حتى من ذي قبل ما غفلت عنك يومًا ولكن كل ما في الأمر تجاهلت شعوري بك؛ لكي لا يزيدني العذاب، فقد كنت ولا زلت أكتب عنك على ورقي وبين سطوري، فأموت من أجل عيناك، وأتنفس بك لتمنحني روح الحياة، تمنيت لو كانت كلماتك تعانقني، فكنتُ دومًا أحدثك من بعيد، بدموعي وقلبي وعيوني.

كانت تمر عليّ لحظات صعبة وأنت لست معي، كنت أخشى التفكير بك، وعقلي يُجبرني على عدم نسيانك، فكنت لي حصني المنيع، فاحتميت بك ووضعت قلبي الذي يحويك في صندوقٍ خشبي مغلق، فقد أغلقته على قلبي حتى لا يرى سوى نور عيناك، فجعلته أصمًّا أبكمًا؛ لكي لا يسمع سوى نبضات قلبك، ولا يتحدث لغيرك، عشت لأجلك ووضعت روحي على كفي؛ لعله يأتي اليوم المنتظر؛ لأهديك روحي المعذبة بألم حرماني منك، وكل ما هوّن عليّ ذلك العذاب أنك علي قيد الحياة وبخير، فأنفاسي معلقة برباط أقوى من الموت، فأنت أجمل قصة حب عشتها بالخيال، أحنُ قصة حب، جعلتني أتشبث بها، فأنت لحن سمعته وحفظته بداخلي وبتُ أردده وأعزفه، عشت وامتلكت به

الحياة، ولكن بلحظة وجدت دخلاء أرادوا سرقة كل أحلامي، إلا أنت فقد آليت على نفسي بألا تأخذك الحياة مني، وإن كنت تجهل حبي فلن تسلبك قسوة الأيام وقسوتك أنت أيضًا من قلبي، وان كنت تريد ذلك فلتنزع روحي من جسدي، وبهذا الوقت سيواري جسدي التراب، أما روحي فهي مسكنك، وسيظل حبك موطني.

فدائمًا يأخذني حنيني إليك، عندما تضيق الحياة وتتسع دائرة الوحدة داخلي أتذكرك دومًا، تمنيت لو أراك لحظة أو أحدثك ثواني؛ لأمحو بك ظلم الأيام والليالي، مللت حياتي بدونك وأقاوم يأسي وأسيطر على ضعفي؛ لعلي أصل لحلم تشاركني به، كلما ذكرتك تفيض عيناي وتسيل على خدي دون إرادتي وأشعر بتمزق قلبي، وأعلم جيدًا أنك لن تحبني، ما رأيتني كما أنا، وما عليك لوم ولا عتاب، فقد خبأت نفسي وسجنتها داخلي، خشيت ضياعك.

فوجعني ألم فراقك، كلما ازداد قلمي في الرغبة بالكتابة عنك ازداد أنا وجعًا، ودموع تنهمر بلا توقف، فقد كنت أملًا أقمته داخلي لأعرف السبيل إلى الحياة، فلا حياة بدونك، أفكر بكل شيء، ألمك، فرحك، غضبك، حبك، كل شيء عنك، وأعلم أن وحدي من يفكر ويعشق، فقالتها " فيروز من قبل"أهواك بلا أمل"، أُحدثك بخيالي أحبك رغمًا عني، ورغم ذلك فلن أدع أحد يأخذ مكانك ولن أرضى بغيرك بديلًا.

ليتني أخبرك بأني أفتقد نفسي القديمة، أفتقد الرغبة في الحياة وفي كل شيء، أفتقد الحديث معك بتلك الأحلام، أشعر بضياع بعد رحلة طويلة من العذاب، وبأغرب صدفة حظيت بلقائك، سحقتني ظروف الحياة، وضِعتَ أنت من بين يدي، أشعر برغبة في البكاء بين يديك، وأحدثك بكلمات لم أنطق بها يومًا ولا لفظ بها لساني، " فقد كنت أنتظرك، أنتظر أن تسنح لي فرصة الاعتراف بأنك حلمي الأول والأخير، ولكنك يا حلم العمر، يا حب ضاع قبل الحصول عليه، لم يكن لي نصيب سوى في لحظات استرقتها لي أجمل لحظات حياتي، باتت تخفف عني ألآمي،" أتمنى لو تسمع كلماتي، وتعلم جيدًا أني ما عشقت يومًا سواك، ولن يأخذ مكانك داخلي غيرك حتى وان بات جسدي تحت التراب، فربما عجزت عن رسم ملامحك على أوراقي ولكن لا يهم، فما يشغلني هو أنك داخلي، فقد طبع الزمان ملامحك داخلي ولن تمحوها الأيام والظروف، كنت أتساءل دومًا ما هو العذاب الجميل؟ أوضحت لي الأيام منذ سنوات طويلة مضت، فإن حبي لك هو نوع من العذاب، يؤلمني كثيرًا وأعجز عن تخفيف ألمي ورغم ذلك أعشقه، فعذابي هو سر حياتي، حتى وإن وضعتني الحياة بواقع مرير، ستبقى أنت فكرة تعيش داخلي لتمنحني الحياة.

أما عني فقد حرّمت على نفسي عتابك، وحملت لك أعذارًا على مر الزمن، فقط لأني أحببتك بصدق، أحببتك دون انتظار المقابل منك، ومع الأيام جعلتني أعشق نفسي وملامحي، فكنتُ من ذي قبل لا أدقق في ملامحي، كيف تبدو؟ أو ابتسامتي كيف تكون؟ حتى تحدثتَ عنها، فكل ما يعجبك بالفعل يعجبني، جعلتني

أعشق ضحكاتي العالية وأستغل أي فرصة لأكركر، جعلتني أُحب ما يجول بعقلي، أحببت العالم كله حينما رأيته بوجودك أنت، فـأكتفي بالنظر لعيناك؛ ليخبراني عما يخبئه لي القدر، نعم قدري الذي علمت مؤخرًا كم أن بيننا خيط سميك لا يراه سوانا، يمنحنا مزيدًا من السعادة، ويضيء طريقنا؛ لنرى مدينة الأحلام التي تنتظرنا بالمستقبل القريب.

قلْ لي

قل لي، متى أُحدث كل البشر عنك؟

قل لي، متى يموت الغياب و ينتهي الفراق؟

متى أخبر العالم كله أنك من تهمس إلى الحياة، وترعبها كي لا تسيء إلي قلبي؟

قل لي، متى تثور على عادات و تقاليد مجتمعي؛ لتخطفني ونهرب بعيدًا؟

لِمَ سترحل وتهجرني وتسلبُ واجبي لك، واجبي الذي خُلقت أنا لأجله، لأحبك فقط؟

لِمَ قررت البعد والغياب، وأنت تعلم جيدًا أني بدونك أُعاني؟

فلا أدري إلي متى سيصبر قلبي ويظل صامدًا؟ يبكيه الحنين إليك، ولا يشكو مرارة الفراق ولا يقوى عليها

متى سيرحمني قدري ويجمعني بلقاء لك، وبعده تذهب روحي لربي؛ لتحمل طهارة حبك وعفة قلبك الحاني؟

أشعر بسعادة لا منتهى لها حين أُحدثك، وأحكي لك عن كل شيء حتى وإن كانت بسيطة لا تحمل معنى ولا قيمة، أريد فقط الغرق بحديث طويل معك ينسيني مرارة أيامي وقسوتها بغيابك الذي طال أجله.

قل لي، متى أُخرج صورتك من داخل أعماقي إلى نور أيامي؟ متى أرسمها؟ ألمسها وأضعها بكل ركن من حولي؟

متى أُغمض عيناي؛ لأفتحهما وتبقى أنت أول ما تقع عليه عيني؟

قل لي متى، سينتهي هذا الفراق؟ ومتى يهدأ هذا القلب الحزين؟

قل لي، متى ستبقى معي لأبقى أنا على قيد الحياة؟

قل لي، كيف السبيل إلي رؤياك؟

كنت حُلمًا

كنت لي حُلمًا من أحلام طفولتي، وعندما كبرتُ ضاع كل شيء، لم يتبقى غيرك مستعمرًا لقلبي، غبت عني وعن أيامي، ولكنك ملكت قلبي، فأصبحت لا أريد الحياة بدونك، وصدري لا يريد يتنفس إلا بك، فكنت لي حبيبًا لم تلده لي الأيام على أرض الواقع، أصبحتَ فكرة محتبسة بأعماق قلبي تخللت أنسجتي.

حرَّمت على نفسي عتابك، وحرمت علي نفسي كل شيء سواك، لو تعلم أنك سر حياتي حتى وإن كان ذلك في صمت تام، ولكني تعمدت ألا أخبرك، فقد خشيت خسارتك بعد ما جمعتنا صدفة جعلتني أحظي برؤيتك والحديث معك بعد ما فقدت الأمل في لحظات كهذه، فكنت أراقبك دومًا من بعيد، كنتُ حقًا وقتها في قمة سعادتي وطمأنينتي، ولكن خانتني أيامي ومزقتني أحزان الحياة فما عدت أليق بك، وأصبحتَ حُلمًا بعيد المنال، فأصبحت رغبتي أن أبقى جانبك ولو صورة أو خيال، واكتفيت بالحديث إليك في خلوتي بنفسي، وأحاكي عنك سمائي ونجومي، فما عدت أهتم إن كنت تشعر بوجعي أو حبي، أو لا تكترث لما أعانيه من البداية، فصدق أو لا تصدق هذه الكلمات، أني أحببتك منذ أن بدأ قلبي بدقاته وزرعت حبك بقلبي ورويته وتركته ينمو ويكبر، فما سمحت لأحد اقتحام جدار قلبي على مر الزمان ولن يحدث ذلك، فاكتفيت بحبك وإن كان بلا أمل، فأرغب بحديث طويل معك، وإذا انتهى أعتكف في صمت أطول، لا

حديث ولا مناجاة ولا عين تنظر وإن استرقت من السمع شيئًا سيكون رنين صوتك، فرغبتي ف لغة الحوار بعدك تتلاشى، وما أشعر به في بعدك ليس يأسًا، ولكنها حالة تعب من عالم يخلو منك.

اترك لك رسالة

أحببتك طوال عمري دون أن أرسل لك ما يخبرك عن هذا الحب، ففي الحديث معك تذوب آلامي وتبرد جراحي، وقتما يضيق صدري وأرى الأرض من حولي تضيق؛ أنظر لسمائي، فهي دومًا تحكي لي عن حب وتريني قلبًا ما كان لي يومًا، أمحو دموعي وأحزاني حين أذكرك، فبيننا لقاء، ويجمعنا موعد في جو السماء، ما بين القمر والنجوم و فوق أجزاء السحب الضخمة، أشعر بك تمامًا، تسري بدمي وشرياني، كنت بالنسبة لي سر الحياة، وإن كانت الظروف من حولي تخبرني أن اللقاء بيننا يستحيل، فأحببتك بكل كياني واسترقتك حُلمًا لأيامي، ورسمت صورتك بخلايا عقلي، وأدخلتك لأعماق قلبي، وأغلقت عليك حجراته ونوافذه، أودعتك بمرآة عيوني؛ كي لا أرى في العالم غيرك، وها هي سعادتي الحقيقية.

فما رأيت أمامي سواك فقد كنت لي كل الرجال، كنت عالمي الصغير الذي ألجأ إليه وقت تعبي، كنت دومًا أشعر وكأن رأسي تستند داخل حضنك، فحتى بخيالي ما تخيلت غيرك حمايتي وفرحي، فقد اكتفيت بك من هذا العالم، حتى وان كان حبي لك هوسًا أو جنونًا من نوع خاص، فلا يهم سوى أن أظل أحبك حتى أفارق هذه الحياة.

كتب نزار قباني قصيدة يتوسل فيها حبيبته تساعده ليُشفى من حبها، أما عني أنا وأنت يا حبيب توّج قلبي على عرش حبه بأحلامي، فأتوسل إليك، دعني أمرض بهذا الحب، فكيف أشفى منك وأنت الدواء؟ دائي ودوائي، عشقي وعذابي، حرماني وأحضاني، أنت الكل، فكيف لي أطلب منك الرحيل عني؟ وإن طلبته منك فلا تصدقني، ففي لحظات يأخذني الكبرياء بقرارات وكلمات لا تروق لك، وأندم عليها بعد ذلك.

ما ندمت على شيء في حياتي سوى عمر مضى وأنت لست فيه، وأكره عمري القادم إذا خلا منك، كيف لي من راحة في حبك؟ فلا بُعدك يريحني، ولا حديثي القصير معك يكفيني، دومًا بيننا مسافات، كل يوم يمر تطول هذه المسافات، ولكن فكرة المسافات هذه لمن لا يعرف عناق الروح، وحملت بين يدي قلبي وحبي ليبقيا معي، فلم يكن لي مكان وسط هذا الحب ولا بقلب من أحببته، كل ما أعرفه أن هناك ما يسمى بالغرق في حب هو لي كل الحياة، فأصبح الحب بالنسبة لي مسألة بقاء من أجل الحياة، وليست مجرد حب.

حُبكَ أكثر من حياة

وعلمت أني لست بحاجة لأفكر بشخص ما بيني وبينه رباط أستمد منه الحياة، ولكني كنت بحاجة لأرى نفسي جيدًا؛ لأحلق في جو السماء، فأنا عالقة أنتظر من يحلق بي بعيدًا أو يسقطني على سطح الأرض بأمان، ولكني أحتاج لنفسي أولًا وأخيرًا.

أحدق بسمائي المعتادة أجدها غريبة عني، شيء بها ضائع مني، أبحث جيدًا ولكن إحساس السعادة بها يتلاشي داخلي، وأتألم بشدة مما يحدث، فما كنت أنتظره يا ترى؟ ما الذي جعلني أشعر بالضياع بعد الأمان في جو السماء؟ فقد كنت أبتعد عن قسوة العالم وأكتفي بالنظر إليها؛ لأسترق لحظات من أحلامي الوردية، أبُعدي عنك سبب الشعور بالفقدان؟ ماذا فعلت بنفسي بحق السماء؟ أكنت أسير خلف الوهم وألتصق به، أم أتشبث بشدة بموعد مع الحياة؟ كنت أنت لي أكثر من حياة وكنت أخشى من نفسي إذا حاولت نسيانك.

وتوسلت لك في الخفاء: دعني أحبك وحدي فلم ولن أنتظر الحب منك يومًا، وكل ما أريده أن تدعني أعشقك كي أحيا، وأن تتركني الحياة أحبك أكثر مما يجب، دعني أتحدث عنك في ليالي القمر، أراسلك عبر النجوم وبين أسراب الطيور، دعني أعانقك في جو السماء وبين فراغات السحاب، والتمس لي جنوني بك

ولتفغر لي، فحبك فوق إرادتي، وكن مطمئنًا، فلن أخبرك يومًا بهذا العشق، فلتترك لي خيال حبك وكفى، فأنت أكبر سبب للحياة.

كنت أتمنى لو أخبرك أنه لا شيء يستحق حزنك، أوالاحتراق من أجله، لا شيء يستحق أن تدنس قلبك أو تشوهه بجرحٍ أو ألم، وحدك فقط من يملك القرار في منحي السعادة الأبدية حتى لو كانت مجرد لحظات، وبعدها تنتهي بي الحياة، وينتهي عنائي وينتهي كل شيء، أنت فقط من باستطاعته تبديل حياتي من مكان قبري لبستان أحلامي.

قوية أنا بك

أنا تلك الفتاة القوية بنظر الجميع، حتى أنت يا حبيب العمر، دعوتني بالقوية، ولا تعلم أن سر قوتي يكمن داخلي، فهل عليّ أن أخبرك أني بدونك أفقد كل شيء؟ أفقد ابتساماتي وضحكاتي، أفقد نفسي، أضعف وتموت أحلامي، أأخبرك بشيء يحويه صمتي وكتماني؟ أنت هوائي العليل، ونسيم موجي الهادئ، وحتى إذا كنت هائج يا بحري الأعظم، فأنت تحمل همومي بأمواجك الطائشة لتلقى حتفها بعيدًا عن أوطاني، قوية أنا بك، ولن أقوى بدونك، فبك أستنشق ما يحيط بي من هواء مسموم، ورغم ذلك لا أزال على قيد الحياة، أمارسها بكل قوة برغم آلامي وحرماني.

فرجوت من الله أن يبقيك داخلي، فبإمكاني الوقوف بوجه الحياة وإعلان حربي على هذا العالم في سبيل أن تظل أنت وحدك ساكنًا قلبي وروحي، فقلبي يرفض أن يتخيل الجرح منك ولن يقبله، جعلتك على عرش قلبي، مولاي الملك المتوج ولا أحد يصلح مولاي الحبيب سواك، وجعلت كل جوارحي الحارس الأمين لك، ورغم أنك ما أحببتني يومًا إلا أن حبك يزداد اشتعالًا، أتمنى لو أصرخ للعالم كله لأخبره بهوسي بك، أو أهمس لقلبك وأحدثك، لو أتوسل للحياة بأن تدعك لي ولو لحظات، لحظات قليلة فقط أكن بقربك وبعدها ألفظ أنفاسي وأُغلق عيناي على رؤيتك، وآخر نبضٍ يخبرك بكلمة عشت على أمل لقائك؛ لأهمس

لك بها، وأخبرك حينها أن قد عوضني الله بلحظة وجودك جانبي تعادل العمر بأكمله، أنسى بها ما مر بي من ظلم وقهر وعذاب، أنسى بها ألم الانتظار، فقد طال انتظاري لك، وبعد ما حان وقت لقاءنا؛ أتى وقت رحيلي من دنياك، وإن رحلت عنك لن ترحل أنت عني، ولن يقبل قلبي بغيرك بديلًا سوى الموت.

تعلمت من حبك كيف أكون امرة قوية، تعلمت من حبك كيف أحارب من أجل أحلامي وكرامتي تعلمت من حبك كيف أكون بك ولأجلك، حتى وإن كنت تجهل هذا الحب، تعلمت كيف أحبك وكيف أشعر بالسعادة، تعلمت وتعلمت الكثير منك، تعلمت كيف أكون امرأة صادقة لا تعرف النسيان، تعلمت من حبك معنى الوفاء لك وحدك، فلا أرى بالدنيا غيرك من بين رجال العالم.

دُمت ساكنًا بأعماقي يا حبي الغالي.

حبيبي

حبيبي، أشتاق لدمعي وأنت معي، أغار على قدميك حين تلامس الأرض، أغار عليك من عيون كل النساء، من سحابةٍ تُطل عليك من فوق السماء، من حبي وقلبي ودقاته، من كل شيء حولي، أغار من قلمك حين تداعبه أصابع يداك، أغضب من عيناي إذا رمشت وأنت أمامها، أثور على عالمي دومًا، وأعاني مرارة فقدانك، فقد سكنت الروح واتخذت من الشريان مجرى، واكتفيتُ بك كفكرة داخلي كانت هي سبب لأظل علي قيد الحياة، أخشى أن تعلم ما يجول بخاطري، فيأخذك الغرور وتنسى أن ما بيننا رباط الحياة، بل أقوى وما كنت أعلم مداه ، تعلقت بك حد الموت، وكنت لي في منامي مدينة أحلامي، ماضيّ وحاضريّ ومستقبلي، فرحي وحزني ودمعي وابتسامتي، أنت العذاب الجميل الذي كنت أسمع عنه دومًا، يا رجل به أتنفس، يا رجل بدل آلامي، يا من وصلت لأعماق أشجاني، وأبدلتها بحبك وحنانك.

يا رجل حرر أحلامي واستوطن بكياني، يا من قتل يأسي وحرماني، وتوّجني بزهور العشق، وقلب آواني، يا رجل كسر حواجز الأشواك والخيبة، وزرع بطريقي بستانًا لأحلامي، يا من يعادل كل رجال العالم، نعم أنت يا كل أحلامي.

دعني أعشقك في صمت، فبدون حبك سأصبح امرأة خاوية، دعني أقتحم ما خلف الجدران، وما بين ضلوعك، دعني أحلق بسمائك، أو أطلق أسراب طيري المجنون، دعني أراسلك عبر النجوم، وأرسل لك الحمام بمراسيل، فتعبر البحار والمحيطات، وتقاوم عواصف الصحراء؛ لتصل إليك لعلها تعود إليّ بموعدٍ منك، موعد حتمًا سيقام بيننا يومًا من الأيام.

عجبت لهذا الحب

عجبت لحبك، أحببتك بلا وعي، أهذا هو الحب أم إحساس يذبح الشعور؟ مشاعر صماء أبكتني ودمرت ما تبقى داخلي، أحببتك لدرجة أني كرهت العالم كله بدونك وبتُّ شريدة، ونسيتني ونسيت حبي وإخلاصي لك، ولكني منحتك العذر الأبدي، فنارُ حبي داخلي صامتة، فلا حالي يحكي عنك شيئًا، ولا أستطيع الإعلان عن هذا الحب، فأحبك بشدة و أسامحك دومًا، فلا يحمل لك قلبي إلا العشق المعذب.

فعشقتك كما أعشق قطرات الندي .... أعشق قلبك بدقاته وهمساتك، خوفك، جرحك ليّ، أعشق صفاء قلبك الحنون، ودفء مشاعرك، وسِعة أحضانك التي ما رأيتها سوى بأحلامي الوردية، أعشق كلماتك كنسمات الربيع، وهمساتك كنسيم يشفي الجرح العليل. فلا أملك نفسي تجاهك، فكيف أصفك؟ نقاء عينيك، رقة شعورك وحنين فؤادك.

كنت أحدثك بيني وبين نفسي، وكأنك مرآتي، فأرى بوجهك أحلامي وأنسى بحبك حرماني، زرعتك داخل حجرات قلبي وأغلقت أبوابه عليك، وتعمدت نسيانك بداخلي، فلن يستطيع الزمن نزعك من داخلي ولا بنزع روحي أيضًا، وعزفت حبك على أوتار قلبي، فما من سبيل الي نسيانك، فكلما ذكرتك؛ دعوت لك الله دومًا يا من سكنت القلب، ولو لم تراه العين.

ساكن الروح

في يومٍ ممطر تقريبًا، كان أسعد يومًا بحياتي المريرة منذ سنوات طويلة، عند هطول المطر ما كنت أهنأ به من قبل ولو لدقائق معدودة من شدة ألمي وحزني وحرماني، فداخل المنفى، لا يوجد شعور إلا بتعذيب الروح، تحدثت إليك أيها البعيد الغالي، ساكن الروح و الساري بشرياني، فقد كنت أحتاجك بشدة، أغمضت عيناي؛ لأُنادي عليك؛ لأقابلك في أحلام اليقظة، فقد كنت أنتظر كلمة منك خاصة كنت بحالة نفسية سيئة للغاية، وفجأة وجدت رسالتك ولم أصدق نفسي، رباه! أنا أحلم، لا لا بل حقيقة أنت من تراسلني وها أنا بكامل وعيي، ولم أصدق أن أرواحنا متآلفة هكذا، ربما أنت لا تعلم بذلك ولكني على يقين بأن بيننا رباط روحي من نوع نادر الحدوث، فكل ما يحدث بيننا حقًا بغاية الغرابة، أتسألني يا حبيب الروح، كيف أحيا بدونك؟ أتظن أن وجودك يؤلمني أو سببًا في تعاستي يا ساكن الروح والقلب؟ أتعتقد أن حبي لك حديث الولادة؟ أتمنى لو أخبرك أني أتنفس بك، سنوات وأنا أتنفس بك، أحببتك واكتفيت بوجودك داخلي في صمت؛ لأتجنب حرمان عقلي من التفكير بك، كنت أخشى علي غرفتي المغلقة التي تحتوي على صورتك وملامحك ونبضاتي بك، يحتويني عشقك، ويحميني هواك حتى ولو لم تقصد ذلك، ابتعدت عنك كثيرًا، تجاهلت أي موقف يجمعنا سويًا، كنت أخشى خسارتك داخلي، فأنت سر حياتي "مائي وهوائي"،

ودعوت ربي بألا يسلبك من روحي، فقد اكتفيت آلامًا وجراحًا، فكلما فكرت بك يملؤني الأمان والحب، وأبكي من شدة حرماني منك.

واحتفظت بحُبِك، وجعلته يحتويني من دون وجودك بجانبي وبلا علمك، أعلم جيدًا أنه لم يكن لديك خبر بهذا الحب، وتمنيت أن أحتفظ بهذا الحب وأحافظ عليه بعد مماتي، فما تمنيت لك العذاب يومًا فيكفي قلبي، فعذابك له أحنُ عذاب، فقد ظلمني المقربون إليّ، وأرادوا حرماني منك، وما نسيتك يومًا، فوجودك داخلي قوة لا تملكها أنثى غيري، ولا أفهم سر حبك داخلي ولا أريد معرفة السبب، فكل ما أردته أن تظل فكرة داخلي أعيش وأموت عليها.

ولو كان لي حق الاختيار لاخترت أن أكون طيفك، أو نجمتك العاشقة في السماء، أو أبقى حُلمك الذي يراودك في منامك ويقظتك، وتطاردني دائمًا فكرة أن لو اقتربت منك؛ لمات قلبي احترافًا عليك "على بُعدك وحرماني منك" فقد تعب الصمت مني وفاق طاقتي، تمنيت لو تحملني قدماي إليك، وأصرخ بأعلى صوت؛ لأخبرك أنك عشقي الوحيد وأنك عندي كل الرجال، فلا معنى لكلمة عشق إن لم تكن لك أنت، ولا قيمة لحياة أنت لم تكن بها، أتعلم أنك حبي لكن لا أدري منذ متى؟ كل ما أعرفه أني أحببتك وأنا في عالمي القديم قبل أن أُرسل إلى هذه الحياة الشاقة الخالية منك، أريد أن أخبرك أنك قدري، جمعني بك وغرسك داخلي، فأحيا بك لمجرد وجودك بالحياة، وكأن بيننا رباط الحياة والموت، فإذا انقطع؛ فارقت أنا هذه الحياة في لحظة، ربما عجزت كلماتي تمامًا عن التعبير عن كيف تبدو

داخلي، وأُخبرك شيئًا ألا وهو أني لا أهتم لأمر أحد سواك، وأعلم جيدًا أنك لا تهتم لأمري كثيرًا، ولا أريدك أن تهتم، فلتبقى كما أنت لعلي أنهي حياتي قريبًا، فقد اخترت مفارقة الحياة فضلًا عن مفارقتك.

أحببتُ رجلًا

أحببت رَجُلًا هو بنظري كل الرجال، وبطلي الخارق، وحمايتي وأماني، رَجل لا أتحملُ فراقهُ رغم أن ما جمعتني به لحظات، ربما دقائق أختلستها من الزمن، ولكنها تعني لي العمر الجميل.

أحببت رَجُلًا حَكم على قلبي بالعشق المعذب، بدونه أفقد هويتي، وأتيه بجو السماء، وأفقد رغبتي بالحياة.

أحببت رَجُلًا مستعمرًا لقلبي، ولا أرغب بأحدٍ سواه.

أحببت رَجُلًا ما كنت أعني له شيئًا يومًا من الأيام.

أحببت رَجُلًا كنت لأطمئن لعيناه، وأثق به كثيرًا، منحته الوفاء ومنحني القوة والحُلم المستحيل، أسامحه دومًا، وأخشى عليه متاعب هذه الحياة.

أحببت رَجُلًا بِتّ أسيرةً لهواه، فأعجز عن التخلص منه، وأكره عقلي إذا فكر بذلك وأقاومه.

أحببت رَجُلًا أناديه في يقظتي ومنامي، هو لي حياة وفراقه أكثر من موتٍ.

أحببت رَجُلًا كل ما أستطيع فعله أن أهواه، وكأني جئت لأجل هذا الحب، وكأنه رسالتي بالحياة.

ليتني أخبرك أني فقدت نفسي عندما تأكد لي أن أمري لا تهتم به كثيرًا، حقًا أعترف أني كلما تذكرتك أحزن وأتألم بشدة، فأنت من جعلت القلب والعقل يتصارعان، كيف يتشبث بك قلب قتله الحنينُ إليك؟ وكيف لعقلي أن تتوسل ذاكرته إليه ليدعك داخلها؟ فكيف أسير بهذه الحياة؟ وأنت لا تعرف ماذا فعلت بي؟ وما سيحل بي؟ تركتني لأعاني فما عاد لي شيء كما هو، جعلتني أفقد نفسي بعد ما كدت أُمسك بها، فهلا أسألك ما ذنبي؟ وهل أخطأت بحقك لتسلبني سر الحياة بهذه القسوة؟

قد آذاني حبي لك بشدة، وكنت أخبر نفسي مرارًا وأتساءل لماذا أحمل لك كل هذا الحب رغم ما تحمله لي أنت من جفاء وتجاهل؟ مغرور قلبك صدقني، وإذا علمت بحبي سيأخذك الغرور أكثر وأكثر وبعد ذلك ستندم، ماذا لو علمت يا من أحببته حبًا لا يرى الحياة؟ ماذا لو أخبروك يومًا أني ذهبت وصعدت روحي للسماء؟ صدقني سيؤذيك قلبك وستندم بلحظات كنت تتصنع بها الكبرياء، ماذا لو علمت بأن لقائي بك مرتبط بنهاية حياتي؟ ولا أدري ما المقصود بنهاية حياتي، أهي نهاية حياتي المعذبة لحياة جديدة بها أنت وكل أحلامي؟ أم سأنتقل لحياة أخرى لا يسكنها سوى الموتى.

حبيبي، لم أكُن أعلم حقًا أني أعشقك كل هذا العشق، وأتمنى لو أحدثك، وأتوسل إليك لتنزع روحي، انزع هذا العشق من داخلي، أشتهي للراحة ويشتهي قلبي لتوقف نبضاته، فلم يسبق لي أن أطلب الرحمة في حياتي.

لكني سأطلب منك الرحمة من حبك الأبدي، فأنت لي دومًا نافذة الأمل وشعاعي المضيء ومبدد ظلمات الحياة والأيام، ومؤنسي في ليلي القاحل، والنافذة الوحيدة التي كنت أنظر من خلالها لجمال الحياة والحب والحرية وجو السماء وأسراب الطيور، كنت أراقب كتل السحاب في كل مكان؛ لأراك خلفها وأحدثك، كنت أبحث عنك في كل مكان وزمان؛ لأستنشق الحياة برائحتك أنت، وظننت يومًا أنه آن الأوان لأرى حياتي بعينيك، اعتقدت للحظة أن الحياة أرسلتك لي كطوق النجاة في محيط عميق بموجٍ هائج ولا أقوى على السباحة، وكدتُ أستسلم لتلك الأمواج الطائشة، وفجأة لمحت قاربك يقترب لينتشلني من موتٍ محقق، فأيقنت لبرهة أني نجوت، ولكن ضاع كل شيء، وحال بيننا واقع مؤلم، كل ما أعلمه أنك أصبحت لي حقيقة تمنيتها وعشتها بخيالي منذ زمن بعيد، واصطنعتك داخلي وبكل أحلامي، عندما تطاردني الحياة كنت أنادي عليك، أناجيك في يقظتي ومنامي، رغم أنك لم تسمعني، ولكن يكفيني متعة وهم وجودك، فأنت لي أجمل وهْم آمنت به كي أحيا.

كلما مررت بداخلي أتنفس بعمق، وأشعر بك تسري بشرياني وبين ضلوعي ونسيج أوردتي، إلى أن استقريت بحجرات قلبي، ولا يعنيني أن تبادلني نفس الشعور، فكل ما يهمني أن تبقى بخير لأجلي، فحبي لك سبب بقائي، وإصراري على الحياة هو أنت، فأبدًا لم تكن يومًا شقائي، فأدين لكَ بسعادة منحتها لي دون قصد منك، فيكفي أنك بهذه الحياة.

لا يهمني إن كنت معي، ولا يهم إلى من تحادث، فسعادتي الحقيقية حين أنظر لسمائي؛ لأرى عينيك بين النجوم، وأبعثُ لك برسالة يا حلم عشته وارتويت منه الأمانَ، يا من وجوده بذاكرتي يرسم علي وجهي ابتسامة، تحتضنني ملامحك وتضمني بالحنان، فلا أريد منك لمسة ولا همسة، ولا بإمكاني عتابك أو ملامتك، أريد فقط ابتسامتك حتى وإن كان ثمنها روحي سأهديك إياها، فعمري وقلبي وحياتي لك منذ البداية إلى نهايتي المكتوبة، لعلي لم أخبرك يومًا ولن أفعلها لتبقى أمامي، أريد الاحتفاظ بك داخلي حتى وإن بخل الزمن عليّ، وأضناني عذاب الحياة، وشربت من المُر كؤوس، فكأسك هو شفائي.

كان لي ظلًّا

كنت لي الظل الذي لم يفارقني حتى في الظلام الدامس، تاه وجهك الحقيقي من أمامي، لكني لم أستطع نزعك من روحي، حبي لك ما كان يومًا جسديًا، هو حب لا تُؤثر فيه جروح، ولا بإمكانك أن تقلل من زهوته داخلي، لا مسافات تحدده وإن كانت أميالًا، ولا المسافة بين الأرض والسماء، فوجودك داخلي كوجود النجوم في السماء، قد تغيب لكنها لا تفارقها أبدا، فمهما مرت بنا الأيام حتى وإن سقط نجمي و ذَبُلت ورقتي في الحياة؛ لتتساقط صريعة علي تراب الأرض.

أنت كما أنت داخلي حتى بعد الممات، طابت حياتك وأيامك مادمت حيًا، وإن أرهقتني الحياة ولم ترغب أنت بقربي، فقطع وصالك يسعدني مادمت أنت عن قربي غنيًا، أحب حياتي مادمتَ فيها، أُناجيك بغيابك، فبدونك لم أستطع مواصلة الحياة.

فلتسقط الحياة، وليأتِ الموت بوصلك المقطوع.

سر حياتي

حبيبي كنت أتجاهل حديثي معكَ دومًا، وكنت أتجاهل مشاعري تجاهك، وفي لحظة من التفكير بك شعرت أن تجاهلي لحبك داخلي ليس بشيء آدمي، كان عدم احترام لقلبي وحرمان روحي، فاصطنعت حبك بأنسجتي؛ لأعرف السبيل إلي الحياة.

فقد كان كل ما يحدث حولي يشير لهلاكي والفقدان القريب للحياة، وحينما أتيت أنت رأيت العالم كله بعينيك، رأيتك في كل ركن أنظر إليه، أرى وجهك في وجوه البشر، أشعر بأمان العالم يجتمع داخلي، فبت أسعد فتاة بهواك، فأحمل لك المزيد من الامتنان، فشكرًا لك لأنك منحتني القوة والسعادة والأمان الذي كنت أبحث عنه.

أحتاجك بشدة وأتمزق وجعًا لغيابك، وإن حانت لي فرصة الاختيار بين فراقك وبين الموت، سأتوسل للموت كي يخطفني قبل فراقك، أتمنى لو تأخذني قدماي إليك، وأرتمي بأحضانك، وأخبرك كم أنا متعبة من هذه الحياة، خُذني بعيدًا عن هؤلاء البشر وعن كل مكان يجمعني بهم أو ذكريات جمعتني بهم، خذني وارحل لمكان أكون به أنا وأنت فقط؛ لأموت بين يديك وتُصبح أنت آخر ما تُغلق عليه عيناي .

سأغلق نافذتك

قررت وبعد طول تفكير أن أُغلق نافذتك حتى وإن كنت أتنفس منها؛ لأنها حتمًا ستقتلني يومًا ما، ترددت كثيرًا في الرحيل عنك، وأدع الحياة تسير كما في السابق، تبقى كما كنت، أُحبُكَ في صمت تام، كنت بعيدًا للغاية كبعد النجوم عن الأرض، كنت كل ما أريده الاطمئنان عليك، وتصلني أخبارك أنك بخير، أدعو لك في الخفاء بألا يصيبك مكروه، ويكتب الله لك السعادة حتى مع غيري، ورغم بُعدي عنك، ورغم أنك لا تعلم ما أعانيه من حبٍ أحمق كحُبكَ، ولكني لا أعرف كيف أحيا بدونه، فقد أغلقت بوجهي نافذة الرحمة، وأيقنت أنك لن تعود، ولن أخبرك يومًا بما يجول بخاطري، فيكفيني قلبًا ينبض بحبك، ويكفيني جراح ممن أحببتهم، فما عاد بقلبي سوى المكان الذي يحملك، وإن تفتت؛ فصدقًا سأنتهي وسيُعلن عن وفاتي، أما الآن، فأنا كالمحتضر الذي لا زالت روحه عالقة بك، رغم جهلك وسوء تقديرك، لذا قررت إغلاق نافذة الحياة، وسأطلق بيدي على قلبي رصاصة الرحمة كي تحميني من عذاب إهمالك وألم بُعدك.

لو أحببتني ما كنت تركتني، لو كنت تعلم كم أحبك ما ابتعدت لحظة، لو تدرك حياتي بدونك ووحدتي وألم فراقك؛ لندمت على كل لحظة قررت فيها البعد، لو تعلم حجم اشتياقي لك وكرهي للعالم بدونك؛ لأتيت بسرعة البرق لعلك تمسح دمعي وتشفي جُرحي.

حدّثني كثيرًا؛ فأخشى أن أفارق الحياة قبل إنهاء حواري معك لتكون أنت الشخص الأول والأخير، فأنت الأول بقلبي وساكن روحي، والأخير بعيوني، فإذا تجمدت دمائي وفارقتني الروح أستدعي روحي لتبقى معك، فالجسد فانٍ وأنا لم أحبك بجسدي، إنما أحبك بروحي التي لن تموت مادامت في كنف عشقك، فلم أفكر يومًا بحسابي ولا عقابي ولا جنتي أو ناري؛ لأنك جنتي على الأرض التي رأيتها، ولم يُسمح لي في العيش بها، امنحني فرصة أرتمي بها بأحضانك فروحي متهالكة، أو امنحني وقت أرى به العالم بعينيك، فالموت أرحم من فقدانك، صدقني أفتقد نفسي بغيابك فما بالك لو غبت دومًا، اقتلني بخنجر مسموم وتأكد من موتي، ثم ارحل، لكن لا تغادر هكذا وأنا على قيد الحياة.

أتشعر بألمي و نيراني المشتعلة؟ أم أن كل شيء داخلي أنا فقط، أريد رؤيتك لمرة أرتمي فيها تحت قدميك، أتوسلك وأهمس لك أمهلني وقتًا ألملم به نفسي الضائعة بدونك، التي تعبت من انتظارك، دعني أخبرك أنك مولاي، أذوب عشقًا وأموت ألمًا فلا ترحل، برحيلك أقف علي بوابات الموت، وإن رحلت عِدني.

عدني أنك ستعود كما وعدتني بأحلامي.

عدني أن هذا الفراق مؤقتًا لحين النظر في قضيتي، ولتتحلى بالعدل فقد أتعبني الظلم.

عدني أنك إذا رحلت بعيدًا، فستبقى معي وأنك لن تترك قلبي وحيدًا.

عدني أنك لن تجعلني أُعاني ألم فراقك.

أتمنى لو أُفارق الحياة قريبًا فما عدت أحتمل هذا العذاب، وطوق نجاتي الوحيد تسلبه الأيام مني.

لِمَ عليك البعد يا حبي وحرماني؟ لِمَ حرمتني الحياة منك وعذبتني وآذتني بك؟

لِمَ أذلني الهوى بعشقٍ عميق؟

اختيارك أنت

ورغم أنك اخترت ان تبقيني سطرًا على هامش حياتك، إلا أن قلبي يرفض بشدة ذلك الاختيار، وضعتني بعذاب يخلو من الرحمة، لم أنتظر امتداح منك أو أن تقدم لي حتى ولو القليل من الحب والعطاء، ولكن كل ما أردته أنت، أن تبقى معي ولو لحظات، فمحاولاتي لنسيانك جميعها منذ سنواتٍ مضت باءت بالفشل، وأن أُقرر نسيانك يعني اتخاذ قرار موتي المحقق، ولا أعرف لِمَ أتشبث بكَ؟ وما علاقة بقائي على قيد الحياة بوجودك؟

لم أكن أعرف أن السلاح الذي كان يحييني يومًا هو نفسه سبب جرحي وتعذيبي، لا ليس أنت بل قلبي هو الذي جعل منك كل شيء داخلي، وأَقسم ألا يتركك، فإن ترك هذا الحب ستتركه دقاته، سترحل روحي من جسدي، وسأبقى حقًا أطلالًا لفتاة قتلها حبٍ وهمي.

كنت أجمل وَهم عشت لأجله، وأحن عذاب، وأرق قلب منحني سعادة الدنيا، فأنت كل شيء ونقيضه، نعم أنت الحياة والموت، الحب والكراهية، السعادة والحزن، الأمان والخوف، الاحتواء والحرمان، الأمل والخذلان.

نعم أنت زحام البشر وونسها والوحدة، الليل والنهار، نجمي اللامع ليلًا وشمسي الساطعة نهارًا، ولا أعلم، لِمَ أنت دون غيرك؟

عشقت قلبًا كان يظن أن ابتعاده دواء لقلبي، سأفترض أن بعدك نوع من العقاقير الكيماوية التي تهلك الجسد من أجل العلاج، ولكن في النهاية لا شيء يجدي نفعًا، فيموت المريض من شدة ألمه بعد تفاقم مرضه، لم تدرك أن هذا التشبيه أقرب وصف لهجرك، كنت دومًا أريد إجابة لسؤال يثير جنوني ويوقظ بركان جراحي " لِمَ البعد؟" في حديث لنا أدركت ما يجول بخاطره رغم تفوهه بكلمات بسيطة وباردة، كانت حقًا تميتني، فهلا سألت نفسك يا قاطع الوصال ما فائدة هجرك؟ فليت قطع الود يجدي ويشفي، كيف أشفي من مرض مزمن تخلل وتشعب إلى كل خلايا جسدي، انتشر حبك بجسدي من الرأس حتى القدم، كان الحديث البارد يصلني بشحنات كهربية مميتة، كنت أتحايل علي قلبك لتبقيني جانبك، ولكن لا جدوى من حديثي إليك.

توسلت الموت كي يوجز ويختصر وجعي، فأنا أحتضر حقًا بدونك، كان حديثي الأخير معك أشبه برقصة يتمناها شخص مبتور الأطراف، كفيف لا يبصر، وأصم لا يسمع، شخص ميت وما هو بميت، اعترافاتي وصراحتي جرحتني بشدة بعد رؤيتي لردة فعلك الجامدة، ما الذي حل بي؟ وأي بلاء عظيم بُليت به؟ أكان عليّ التفكير قبل التحدث؟ ولكن لا يوجد علي سطح الأرض أحد يفكر مثلي، تفكير فاق قدرات تحملي.

عشقت قلبًا كان صاحبه لي كمطرقة لباب قلبي، حطمه ودخل ليحطم باقي محتوياته، وعبث بها ثم رحل، كنت أحاول مقاومة ألم رحيلك، فقررت ألا آخذ المسكنات وأتحمل ألمي وجرحي الذي لا يحتمل.

هل تعلم ماذا فعلت بي بأفعالك، ألمني كثيرًا كلما شعرت أني أطالب بحق ليس لي، وتمنيت في كل لحظة الموت، وكأن الحياه تفتح لي الطريق نحوه على مصراعيه، كأن الموت شخص يشير إليّ من بعيد ويقترب ويفتح لي زراعيه كي أرتمي بأحضانه؛ لعلي أستريح داخل أحضانه، فيا قلبي، قل وداعًا لهذا المكان المليء بغبار وحقارة البشر، قل حظًا سعيدًا لمن أسعدك القدر بلقائه، وحظًا سعيدًاا لمن كسر خاطرك، وحظ أسعد لمن جعلك ترحل عن نفسك لتقرر الرحيل بعيدًا عن هذا العالم.

وأخيرًا...

لم يكن بحياتي بطل حقيقي ليسكن واقعي، فحياتي كانت خالية مِنْ مَنْ يُسمي بفارس الأحلام، ما كان يملؤها سوى الحنين والتمني، رحلة من البحث خلف قضبان العقول، فبت غارقة في أحلامي وخيالاتي و طموحاتي، وكان هاجسي المريب الذي يلاحقني دومًا خوفي من أن تكون أحلامي مجرد خيال يسكنني، وعزمت على تحقيقه، وكثيرًا ما هتفت لنفسي، كوني قوية فأنتِ على بُعد خطوات من حُلمك، وأحيانًا أخرى كنت أشعر أن كل ما أقوم به بلا فائدة، أقاوم وأُعافر دون جدوى، أحيا ما بين أمل وإحباط، تفاؤل وتشاؤم، فقد رأيت الكثير من الفتيات تتحطم أحلامهن على يد رجل شرقي أحمق، أبٍ قاسٍ لا يعرف معنى الاحتواء يُصدر الأوامر والقرارات بشأن حياتهن، لا يهُم إن كانت تلك الفرمانات ستصبح لصالحها أم ستكون سبب شقاؤها،أو أخ يبيح لنفسه المحظورات، أو زوج محبِط كل ما يشغله يشبع رغباته الحيوانية ويستعرض قوته التي لا فائدة منها، ويستغل ضعفها ليمارس رجولته المنتهية الصلاحية، أو رجل يمارس الحب مع فتاة، ثم يترك اختيار زواجه لوالدته، فيحطم حُلم فتاته العاشقة، يقيم عُرسه في مقابل تشييع جنازة قلبها وأحلامها معه، أغلب هؤلاء الرجال يفقدوا العقول والاتزان، يفتقدوا للسلام النفسي فيطلقوا حكم بشقاء بنات حواء، وكأنهن من سببوا لهم هذا الفقد والألم.

كل ما رأيته في مجتمعي هو قهر لكل امرأة ضعيفة، كل ما أرادته الأمان والاحتواء، يداً تحتضن لا ليدٍ تبطش، كل ما تريده الاحترام، وما وجدت سوى الاهانة، فمجتمعي هذا يُبيح للرجل حب امرأة غير زوجته، فمجتمعي أصبح يخشى البشر ولا يخشى الله، والحكاية عذاب كل امرأة وراءه رجل شرقي، وهو المعني الحقيقي للحرمان واليُتم والذل.

إن بِتُ ابنة لرجل شرقي، فيعتقد أن ابنته بمثابة قنبلة موقوتة يجب التخلص منها بأقرب فرصةن بدلًا من أن يقدم لها الحب والحماية والحنان، وإن كنت زوجة لرجل شرقي، فلا مكان للحب والحنان، لا مكان للكلمة الطيبة التي تخفف عنها أو تجعلها تشعر بربيع العمر، ينتظر منها فقط أن تمنحه السعادة، يريد أن يأخذ كل شيء مقابل لا شيء.

فرفقً بمن يحملون همًا، وسلامًا على من مزقتهن الأيام ورغم ذلك يبتسمن ويخففن الكثير من الهموم والآلام.

كل ما كُتب في السطور السابقة هو حديث ما بين العقل والقلب، صراع بين ما أريد وما لا أريد، ما يجب أن يكون، وما لا يجب.

الطبيعة البشرية التي أعرفها جيدًا، تُحتم علينا الاحتياج، كلانا بحاجة للآخر ..... بحاجة للحب، الاهتمام، الاحتواء، الأمان، الرضا،القوة.

ولكن ... بزمننا هذا لم يعد شيء طبيعي، فلم تعد المعتقدات كما هي، ولم تظل القلوب كما بالسابق، وأما عني فكل ما أردته أن يفهم الجميع أني بحاجة إليهم، لا على سبيل المصلحة كما

اعتادت عليه النفوس، ولكن كنت لأشعر بيدٍ تربت على كتفي تُطمئن قلبي لتخبرني بأني لست وحيدة، فكنت دومًا أبحث عن اليد التي تمتد لي بالعون "بالحب، بالأمان" لا ليد تبطش بي وتزيد أحزاني.

فمن حدثني يومًا وقال لي "أنتِ لست وحدك، أنا بجانبك، لن أدعك، أريد سعادتك، أريد أن أمنحك الأمان" فقد كذب حين أخبرني بذلك، فلا حاجة لي بعبارات تبدو لي مسكنات لقلب لا طاقة له بتحمل الألم، كل ما سمعته من وعود كانت أكاذيب، فكل ما فعلته وما تفعله بى الحياة يستحق الشكر، فهي أعطت لي دروسًا غالية لن أنساها.

ما عدت أشتاق ولا أكترث لأحد، أصبحت حتى لا يراودني الحنين إلى مكان أو زمان، ولا لأي شخص علي وجه الأرض، اشتقت فقط لحياتي الضائعة، كلما نظرت للماضي أجد كل ما فعلته هو أني أضعت عمري بحماقات تسمى التضحيات حتى لا تقترب مني الوحدة ولكني، نُفيت بعيدًا، واحتبست خلف سجون المعاناة، فأصبحت كالمشردة الطريدة، حقًا لم أكن طريدة الفردوس، ولكن على الأقل أصبحت بلا عائلة تؤويني، لا تعرف معنى الاحتواء، فأصبح عقلي بحالة شتات، لا يدري كيف يسير إلي حاضره؛ لينتقل لمستقبله المأمول، ولا هو ينسى ماضيه الأليم.

كل يوم يمر من الأحزان هو خريف تذبل به أعمارنا وتسقط أيام تُحسب علينا، نمضي بطريقنا؛ لنلقى حتفنا أمام رياح لا بل عاصفة ترابية شديدة هوجاء تقتلع من داخلنا أماننا وأحلامنا، أيامنا الجميلة، وأخطأ من ابتدع فكرة الانحناء للرياح إلى أن تمر،

فالانحناء ذُل وخنوع وتخاذل بحق أنفسنا جُبن، فليس من الشجاعة مقابلة الحياة بكل هذا الضعف، فلا فائدة في العيش إذا فقدنا عزتنا وكرامتنا، فلا شيء يستحق أن نفقد احترام ذاتنا، فستملك إنسانيتك إذا امتلكت قرارك.

وفي النهاية أُرسل رسالة إلى من قتلني، ووأد بي الحُلم والحب، وقطع الطريق نحو الحياة، ودمر رحلة البحث عن الأمان، ومنحني الكثير من الألم والشقاء، رسالة أتمنى لو كانت سهمًا ليُغرس في عقلٍ لا يسمع و قلبٍ لا يرى.

سيدي ولي أمري ونعمتي وليس لي ولي إلا الله أما بعـد:

كنت أنتظر منك أن تفكر لحظة بما فعلته لي، وما لقيت حتفه علي يديك، كنت أتمنى أن تعيد النظر في حكم قد أصدرته بشأن حياتي، وأسألك ماذا كنت تريد إذن؟ أتعجب حقًا لتصرفاتك التي قلبت حياتي رأسًا على عقب، وكأن كلماتك بركان دمر جزيرة بما يحيطها، أكنت تقصد لي حياة خالية من المتاعب؟ أم كان هدفك تُهلكني؟ أو كنت تقصد تملأ حياتي بكل هذه المعاناة؟ أرأيت ما حل بي من قرار اتخذته؟ أرأيت ماذا فعلت قسوتك بقلبي؟ أتعلم أنك قضيت علي حبي وامتناني لك؟

أصبحت أنت عدوي وعذابي وحرماني الحقيقي، كنت في كل لحظة ومع مرور الزمن أتمنى لو تعيد النظر في قضيتي الملقاة تحت ناظريك، أردتك أن تضع حدًا لمأساة أنت من تسببت بها، وتضع النقاط الأخيرة لتُغلق باب أحزاني الذي فتحته لي علي مصراعيه، جعلتني أختار البعد عنك رغمًا عني، وأحمل قلبًا يبغضك دون إرادتي، حتى في كرهي لك سلبتني حق الاختيار،

جعلتني أهرب منك بدلًا من أن أهرب إليك، وانتظرت مليًا لعل يقضي لي ربي بالحق بيني وبينك.

توسلت إليك كثيرًا، وكنت أعود بالخزي والجرح منك، لم ترحمني يومًا وأنت سندي، وما كنت لي يومًا سند لأتوكأ عليه، بل كنت لي جدارًا بمجرد لمسه انقضّ عليّ وسحقني، كل ما يُحزنني أنك لم تشعر بالذنب الذي اقترفته بحقي، وما أردت يومًا أن تُصلح ما دمرته، فما ذنبي إذا كنت لا تشعر؟ ما ذنبي إذا كان قلبك فاقد للبصيرة؟ ما ذنبي إذا كنت تمتلك قسوة ومنحتها لي فكان ميراثي الوحيد منك هو قسوتك التي جعلتني أعيش بحزنٍ دامٍ وقلبٍ مكسور مفتور، وعين ما عادت تعرف طريقًا للفرح؟

فكما سلبت إرادتي، فالآن لن أغفر لك ما فعلته بحقي وجحودي وهذا أيضًا دون إرادتي، فجعلتني كمكانٍ مهجور مظلم لا أحد يحب الاقتراب إليه، جعلتني أقرر رحيلي كأمرٍ محتوم، فما عدت أريد سوى الخروج من هذا العالم، فلست بحاجة لهذه الحياة.

قد أشتاق لأيام ولحظات ربما لا تحتوي على الذكريات الجميلة التي تجعلني أشعر بالحنين إليها، ولكنها كانت أيامًا أقل ألمًا مما أنا عليه الآن، أشتاق لوحدتي وتأملي في سمائي وهذه كانت دنيتي، أحِنُ لأشياء لا تعني لي حدث ولا شخص بعينه، ولكني أبحث عن شيء يأخذني بعيدًا، لأمضي وأحمل من الأثقال ما يكفي، ولا أعرف ما تحتويه، ولأيّ مكان أمضي بها، وطوال طريقي أسأل نفسي من فَقَدَ الآخر؟ أنا من فقدت نفسي أم هي من فقدتني؟ أبحث عن ذاك الدليل الذي يهديني لأضع قدمي بأول الطريق.

فهناك جملة تحمل الكثير من الوجع وتحمل من الصدق واليقين"شيء ما انكسر بالداخل ولن يعود" فحقًا انكسار القلوب لا تجبره قوة خفية إلا حين يعوضنا الله بما يجبر كسر قلوبنا، ولكن لن ننسى من كسرنا وفتت قوانا، ولن ننسى أيضًا من منحنا القوة والحياة، وعلّمنا كيف نحلم ونلقي بأعباء الماضي بعيدًا.

وأتعجب حقًا من هذه الحياة، ففي زهرة شبابنا تُبرحنا ضربًا ونموت وجعًا، وحينما نكبر يتركنا عذاب الدنيا، وبدعنا لنمارس الحياة بذكريات تلتصق بنا ولن تدعنا أبدًا، لنعرف كم عانينا وكم كنا أغبياء بحق أنفسنا حين استسلمنا للحزن على ما مضى، فودعنا آمالنا وطموحاتنا، وأرهقتنا الخيبة وأضنانا الحنين، ومزقنا ألم الفراق، ونتمنى لو نعود لمرحلة شبابنا ولو للحظة، لندع الحزن جانبًا، ولنتمسك بمن أحبنا بصدق وتركناه، لنكن كما كان يجب أن نكون، لنُصبح سندًا لمن آمل بنا خيرًا وخذلناه، كل ما حدث وندمنا عليه، فنحن من صنع المتاعب لأنفسنا، فقد تخلينا عن أنفسنا وقت حاجتها الشديدة لنا، خذلناها وظلمناها ولم نساعدها يومًا، تركنا أنفسنا لكل عابر، راحل وقادم ليمزقها، وخذلنا أنفسنا أيضًا حين عجزنا في أن نلملم ما تبقى منّا، نحن من أوجع وخذل وتخلى، وأما الآخرون فكانوا مجرد شماعة لنعلق عليها سبب أحزاننا ومخاوفنا، فما من سبب للخوف ولا مسمى له سوي الجُبن، عجبًا لنا بني آدم! نترك أنفسنا تغرق بألم الحياة، وندع كل قطار يمر دون محاولة للتشبث به.